

كتاب الخلو والتنقل في العبادة ودرجات العابدین

تأليف الامام العارف ابي عبد الله الحارث بن اسد المحاسبي

رحمه الله (تأ)

نشره لأول مرة عن نسخة يتيمة

الاب اساطيوس عبده خليفه اليسوعي

باب التمييز بين الخوف والرجا

قال وينبغي للمبدأن يكون اول شي ياخذ به لدينه بعد اقراره لله عز وجل بالوحدانية وانه خالق ورازق العلم بما امر به ومعرفة بما نهى عنه فاذا علم ما يحتاج اليه من العلم عرف ان قوام ما علم الصدق وهو الايمان به فاذا نظر في الذي امر به عرف ان قوام ايمانه اليقين فاذا (18٧) ايقن بما آمن به وعرف ان تمام ايمانه الرجا والخوف فاذا نظر في رجائه وخوفه علم ان الرجا لا يتم الا بالرغبة والخوف لا يتم الا بالرهبة فاذا هو فكر في الرجا علم ان الرجا لا يكون الا بالقلب وكذلك الخوف لا يكون خوفاً الا بالهرب فان قال قائل فكيف يكون حال الراغب الطالب قال ينبغي ان يكون مسروراً شاكراً والراهب المارب يكون منهوماً محزوناً عندنا قلت لم قال لان الراغب الطالب يرجو الثواب ولان الراهب المارب يخاف العقاب قلت فباي شي ينال ما وصفت قال لا ينال ما وصفته الا بالصبر قلت فما خير اداة الصبر قال الزهد والزاهد في الدنيا في حصن حصين شامخ قد جمع له الزهد خير الدنيا مع رجائه خيراً لاخره قلت فما قوام ذلك كله والذي اتعقد له عراها واليه مصيرها وماواها وبه جزاؤها قال العقل قلت لم قال لان الله لم يخلق خلقاً هو احب اليه من العقل قلت فالعقل الذي اعطاه بني ادم اي شي هو قال العقل عقلان عقل الدين وعقل الدنيا قلت بين لي عقل الدنيا قال ما وصفته لك (19٠) قلت فعقل الدنيا قال الصناعات كلها والحيلة منها قلت فعقل الدين قال فيه مالك وما عليك والثواب الذي لك منه والعقاب علي ما عليك منه فاعرف ما ذكرت تلخذ بمخلك ان

تعالى واعلم ان من صلبك حبة واحدة وسيئة فبذلك عدوك سيئات
صبيحت ، وفي اوليائك - حسنتها فقابل بعض ما قبيحت منها ببعض وانه انك
قد بليت من معاينة طبيعت ومكابدة اهوايك ومحنة نفسك بحرب لا حرب
انفع لك منها فان رزقت طفر منها ولا اضرمت عيت الخزيعة منها ولا حرب الا
سيحتاج صاحبها الى المأدة فاستد لحملك من حلم احمد ولملك من علم العسا
ولعقلك من عقولهم فان العقل الفرد لا يقوى على مر العامة ولا يكتب به في
امر احاطة واعلم ان راس ما يعلمك ويصلح به على يدك الزهد في الدنيا
وانما الزهد باليقين واليقين بالعبر والعبر بالفكر فذا انت تفكرت في الدنيا لم
تجدها اهلاً ان تتبع بها دينك ونفسك ووجدت نفسك اهلاً ان تكرمها بهوان
الدنيا فان الدنيا ذميمة الله تعالى وذميمة المرسلين وهي دار بلاء ومزل قلع
(19) فاحذرهما اشد احذر . اياك والسموات وليكن ما تشتهين به على تركها
علمك بانها مؤلمة لعقلك مشغلة لقلبك مبهجة لرايك مشاغلة لك عن معاني امورك
شديدة التبعة عليك في اخرتك فانما السموات لعب فاذا خضر القلب غاب الجذ
ولا تقوم الدنيا ويصلح الدين الا بالجد فلا تلقاه وان كان نال منها الا مستشعراً
خوفاً زائلاً منها فان تاذعتك نفسك الى التهور والتذات فاجلهم انها تزعج
بك الى شر متزعج وارادت بك افضح الفضح وتنبأ مغالبة ذلك وامتنع
منها امتناع ذلك ولا تداعن هواك في اليسير فتطمع بنفسك منك بالكثير فان
لكل عمل ضراوة ومتى عودت نفسك القليل ذقتك الى الكثير واعلم ان
اسعد الناس ادركهم لهواه ان كان هواه في رشد فقد سعد وان كان هواه في
غير رشد فقد شقى تا ادرك منه وقد يمنع الخليم من استكمال لذة الشهوات
خوفه اياها ووجهه منها فلا تلقاه وان كان نال منها الا مستشعراً خوفاً زائلاً
منها الى الندم وخافة الندم منها وهذه صفة الزاهدين فاعلم ان اولياء الله
ان اقبلت اليهم الدنيا لم يكبروها وان ادبرت عنهم لم يذكروها يراهم الناس
وليسر منهم تحسبهم منهم وليسر (20) منهم ليست لهم ديار يعمرونها يطمنون
اليها انا ديارهم وقصورهم وعشايرهم امامهم قد اخذت الدنيا بانفسهم فلولا
ما يستريحون اليه من مناجاة سيدهم لقاسوا من معاينة الدنيا واهلها بطوال
العناء فيهم طلقا ربه من عموم الدنيا وعقاروه من همومها اطيب بجياتهم من

حياتهم واجتنب بمقامهم من مقام فهم الذنن قاتلوا نفوسهم وباهدوها عما تميل بهم
اليه من راحة الدنيا ونعيمها حتى رفضوها ليسر يشتغلين بالاملاك المتقدمة ولا
باصحاب القصور المشيدة ولا الانهار المطردة الذين عكفوا على خب الدنيا وطماعها
يتشدون ببعضها ويطعمون بعضها علاجاً بعد علاج لا يأمون من جمعها ولا تقتضي
امانيهم من شهواتها بيت اخو عشيقها متنيا لذاتها والوانها فلا يزال اخو الحجاب
مخدوعاً مغللاً حتى حضرت منيته فكثرت حبيبات ندامته وحسرتة وذلك هو
الحسران المبين. طوبى لقلب صبر وتوكل على ربه ولم يتذكر الراحة جزعاً طوبى
لقلب بقي فرغ قلبه من ذكر الشهوات فتقا الشهوة على طلب الغني ليس (213)
كل من يتلا يهلك ولكن من لا يصبر للبلاء يهلك فلا تعجب من البلاء
الشديد ولكن العجب من الصبر كيف يحمله العبد العلم دليل على الاعمال والعقول
معاذن للراي فاذا تكامل ذلك في العبد نتجت الحكمة في القلوب فتفرغت
على الالسن فالعلم مفزع للعاملين وذوي العقول مفزع لذوي المساواة في الخسار
والمنافع وذوو المعرفة. مفزع عند اشتباه الامور فبالس يا اخي العلماء وشاور
البقلا وافزع الي ذوي المعرفة عند الغفلات من الامور وسادف الك وصف
العلماء وذوي الالباب من العقلا وذوي البصائر من اهل المعرفة. فاما من
خاف الله في سريره اعظم من خوفه في علانيته وظهرت خشيته عليه في قوله
ونعله فذلك العالم حقا وبذلك وصفهم الله عز ذكره فاذا اقيمتهم فحط عند
رحلمهم واخاض لفخيلة علمهم جناحك فاما العقلا فتى عتق عن الله تعالى مواظبه
وعرف ما يضره مما ينفعه فاتبع دلالات عقله لما ينفعه واجتنب ما يخالفه وكان
التذكر شعاره فذلك هو العامل فاذا لقيتهم فاسكن اليهم قلبك وشاورهم في
امورك واصدر عن رايهم واما ذوو المعرفة فسان تراه قريباً بعيداً احب سميماً
صموتاً نظوقاً سهلاً كزراً سميحاً شحيحاً (214) شجاعاً جباناً ابله فظناً عالماً جاهلاً
معتزلاً صابراً ضجوراً باكياً باسماً عبوساً مختلطاً مستوحشاً الوفا نافراً خذراً خائفاً
راجياً احق عاقلاً متمماً موجوداً معروفاً خاملاً مهموماً مسروراً راغباً ناهداً
صادقاً كاذباً خائفاً ائماً موقناً مكذباً راضياً سائحاً عزيزاً دليلاً متواضعاً متعظاً
نائماً يقظاً نلس للقياد صنب المرام حلواً مرأاً انه الوحدة وفرحه الحزن وسروره
الهم وضججه البكا وكلامه الصمت وقوله الفعل وجوابه الاسترجاع وموعظته

داخل فيه وثبت . فبالفلة عبد الشيطان وبالتيقظ عبد الرحمن .

فصل اما بعد فان تقوي الله من خير ما تحاض عليه الابرار وتواصل به الاخيار فخذ بنصيحتك من التقوي فانه من (22٧) احسن الحسنى وخيرا الاخوان من كان عليه من الاعوان اولئك الذين بالحق يأمررون وعليه يتعاونون قصدوا الي الله بقلوبهم ووجهوا اليه اعمالهم ونصحوا لعباد الله في دينهم فلم تلبسهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله واقام الصلاة وابتا الزكاة يخافون يرمأ تنقلب فيه القلوب والابصار فاحيا الله بالتقوى قلوبهم ونور بالهدى ابصارهم نظروا الي الدنيا فابصروها وقبضوها ففروها فاذا هي وما فيها عواري تجري بها انجاري الى حالات مختلفات وطبقات متبدلات فلم يقم منها علي باطلها ولا امسكو منها بزايلاها ولا اغتروا بالغرور ولا ركنوا فيها الي السرور وما اعتدوا منها بالقائي ولا عدلوا الا الي الباقي فتركوها قبل ان تتركهم ورفضوها قبل ان ترفضهم وسموا صوت المنادى يقول سارعوا الي مغفرة من ربكم وجنته عرضها السماوات والارض أعدت للمتقين فما عاجروا ولا انتظروا واستبطوا انفسهم ففسروا قصدوا الي الله ايماناً ووفاءً بهمه وابتغاء كما قال عز وجل رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه فمنهم من قضا نجه ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلاً احتسبوا (23٢) في الدنيا المصائب لما يرجون في الآخرة من الغايب واستوفت عندهم الحالات اذ كن كلهن زايلات فلم يجدوا الم البلاد ولم يحسوا بغيض الاذي واستضعفوا عند تحقيق المعرفة بالله كل ما نالهم في الله تعالى طيبة بذلك نفوسهم حذرة عليه قلوبهم صحيحة لله نياتهم سليمة لاوليا الله تعالى صدورهم مصدقين بقول الله قد طمعت في الآخرة اعينهم وعرفت عن الدنيا انفسهم فما نظرو اليها نظرة واغيب ولا تردوا منها الا كراد الراكب خافر الملاك فاسرعوا ورجوا النجاة فازمروا سيرة الي الله عز وجل غير مقتدرين ولا عن العمل له بغافلين بذلوا مهج انفسهم في التباس الرضا من ربهم وما راوا انفسهم بلغوا عن عملهم لعظمة خالقهم معشار ما استوجب عليهم من عبادتهم ولا ما استحق في نعمته عليهم وراوا ان ذلك من عطية اياهم ومنته عليهم وكان عند انفسهم اولي باحسانهم منهم وكذلك عز وجل هو اولي بحسان عبادته فطوبى لهم وحسن مثابهم كصحبوا الدنيا بالاستجاب وتنعموا فيها بنظول الاخران نصبوا الآخرة بين اعينهم وجعلوا كتاب ربهم اليها صراطهم

وَسَبَّوْا عَلَيْهِ أَقْدَامَهُ وَاصْفَرُّوا لِهَيْبَةِ أَدْنَاهُمْ وَاسْتَرْعَوْهُ قُلُوبُهُمْ وَتَيَقَّنُوهُ فِي
نَوْمِهِمْ لَمَّا سَبَّوْا لَهُ قُورَسَ رَجُلًا مِمَّنْ اسْتَرْعَاهُ أَحْسَنُ عَمَلٍ تَلَاوُتَهُ إِذَا لَهُمْ فَكَاكُنَ
إِلَى الْخَيْرِ دَائِبًا وَأَوَّلِيكَ لَسَانُ عَدُوِّهِمْ اللَّهُ وَأَوَّلِيكَ هُمْ أَوَّلُوا الْإِبَابِ .

باب الصدق والارادة وقيل الصدق

قَالَ أَرَحَ مَا تَقَى عَلَيْكَ مِنْ رُكٍّ وَعَمَلِكَ وَخَفَ مَا خَفَ عَلَيْكَ مِنْ حَسْبَاتِكَ
فَإِنَّ الصَّدَقَ تَقَى خَفِيفَ الْعَمَلِ وَالْكَذِبَ مِنَ النِّيَّةِ إِلَى الْعَمَلِ بِخَفِيفِ ثَقِيلِ الْعَمَلِ .
قَلِيلَ الصَّدَقِ أَكْثَرُ مِنْ كَثِيرٍ مِنَ الْكَذِبِ وَاعْلَمْ أَنَّ ارَادَتَكَ لِلْعَمَلِ عَمَلٌ فَانْظُرْ فِي
ارَادَتِكَ وَابْصُرْ ارَادَتَكَ كَمَا تَبَصَّرَ عَمَلَكَ وَلِيَبْرَكَ اللَّهُ وَأَنْتَ عَلَى نَيْتِكَ دَائِبًا طَالِبًا
لَهَا كَمَا يَرَى اللَّهُ ارَادَتَكَ لِعَمَلِكَ وَعَلَيْكَ لِعَمَلِكَ فَإِنْ يَكُنْ هَذَا مِنْ شَأْنِكَ يَنْظُرُ
بِنَيْتِكَ قَبْلَ عَمَلِكَ بِأَجْرِ أَكْثَرٍ مِنْ أَجْرِ عَمَلِكَ ، وَاعْلَمْ أَنَّ عَدُوَّكَ اعْلَمْ بِمَا يَدَا
مَنْكَ وَاعْلَمْ بِدَا مَا اخْفَيْتَ مِنْكَ وَاعْلَمْ بِدَا صَحَّتِكَ مِنْكَ وَاعْلَمْ أَنَّ بِدَا (X)
سَنْكَ وَاعْلَمْ بِدَا خَجَلَ مِنْكَ وَاعْلَمْ أَنَّ بِدَا كُلُّ بَرٍّ مِنْكَ وَهُوَ يُخْفِي عَنْكَ
مِنْ دَا . بَرٌّ وَسَقَمَ نَيْتِكَ فِي بَرٍّ وَمَا يُفْعَلُ عَلَى غَيْرِكَ مِنْكَ وَهُوَ يَسْتَرُ مِنْكَ عَنْكَ
مِنْ سَقَمَ نَيْتِكَ مَا تَسْتَرُ أَنْتَ (24) عَلَى غَيْرِكَ وَهُوَ يَسْتَرُ مِنْكَ مَا تَسْتَرُ أَنْتَ مِنْ
غَيْبِ مَثَلِكَ فَيُورِغُكَ فِي الْحَسَنَاتِ الَّتِي قَدْ اخْفَى عَنْكَ مَا فِيهَا مِنَ السُّقَمِ فَيُورِ
لَا يَثْبُتُ تِلْكَ الْحَسَنَاتِ عَلَيْكَ وَلَا يُكْرِهِيهَا إِلَيْكَ وَلَا يَقْبَحُهَا عَنْكَ وَلَا يَقْبَحُهَا
عِنْدَ النَّاسِ مِنْكَ وَوَدَّ أَنَّ النَّاسَ كُلَّهُمْ صَدَقُواكَ فِي نَيْتِكَ إِذَا أَظْهَرَ هُوَ سَقَمَ نَيْتِكَ
فِي حَسْبَاتِكَ وَوَدَّ أَنْ يَصْجَحَ لِلنَّاسِ عَمَلَكَ إِذَا كَانَ ذَلِكَ مِنْهُمْ يُزِيدُكَ قُوَّةً وَنَشَاطًا
فِي حَسْبَاتِكَ الَّتِي قَدْ سَقَمَتْ فِيهَا نَيْتِكَ فَهُوَ يُحْسِنُ عِنْدَهُمْ أَمْرَكَ وَتَعْظِمُ عَنْدهُمْ
مَثَلَتَكَ لِتَدَاوِمِ عَلَى عَمَلِكَ وَذَلِكَ الْبَرُّ وَلَيْسَ هَتَمُهُ وَلَا ارَادَتُهُ وَلَا تَحَبُّبُهُ أَنْ يَعْلَمَ
مَا يَعْلَمُ هُوَ مِنْ سَقَمِ نَيْتِكَ إِنَّا هُمَا مَا تَجْهَلُ أَنْتَ مِنْ سَقَمِ نَيْتِكَ فِي حَسْبَاتِكَ
فَالْحَسَنَةُ الَّتِي تَجْهَلُ فِيهَا سَقَمَ نَيْتِكَ وَارَادَتَكَ وَيُجْهَلِيهَا النَّاسُ هِيَ أَحَبُّ الْحَسَنَاتِ
إِلَيْهِ مِنْكَ لَيْسَ هُمَا أَنْ يَعْلَمَ مِنْ دَا عَمَلِ الْحَسَنَاتِ وَمِنْ دَا تَرْكِ الْبِشَائِطِ وَمِنْ
دَا التَّرْكِ لِلْحَسَنَاتِ فَإِنْ مِنْ دَا تَرْكُهَا أَنْ تَدْعِيَهَا صَافَةً أَنْ يَقَالَ قَدْ رَأَيْتُ
لِعَمَلِيهَا فَتَدْعِيهَا فَيُصْبِرُ دَا . وَمِنْ دَا تَرْكِ الدُّنْيَا وَمِنْ دَا اخْذِ الدُّنْيَا بِمَا يَعْلَمُ هُوَ
مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَنْ يَكُنْ أَنْ يَعْلَمَ النَّاسُ مِنْكَ عَمَلًا مِنْ دَا سَقَمَ نَيْتِكَ فِي ذَلِكَ .

أحب البقعة اليه الذي فحمله وابتغى (24٢) السهم الذي تلمسه ويقطن له
من نفسك فخف على حسانتك مما يعلم من ذلك وخف على ما قصر عنه علمك
وودّ عدوك ان اذخل عليك سرور الدنيا وملك الدنيا وتعظيم اهل الدنيا بالريا
وبالحطاييا لانه مثل ونظر وفكر بين ربحه منك وربك الدنيا كلها السهم نيتك
في حسابك فاذا هو قد ربح منك اكثر من ربحك الدنيا واخذ منك اكثر مما
اعطاك واذا انت قد اعطيه كثيراً كثيراً باقياً واعطاك قليلاً قليلاً فانها
وانت منه ايضاً على غير يقين من الظن به فانت قد اعطيته اليقين وحدك عن
اليقين بالشك والمضى في انزيا فهو يغني عليك ومنك من سقم نيتك في نيتك
ويخفي على غيرك منك من سقم نيتك في عزلتك وينفي عليك من سقم نيتك
في مخالطتك بما يخفي على الناس منك من سقم نيتك حيله في سترك من الناس
سقم نيتك انت تريد ان يصدق عند الناس امرك وهو يريد ان يصحح نفسك
٢٩. عند نفسك ، اسر الحنات اليه منك كل حسنة عميت عن سقم نيتك فيها
وعنى الناس عن سقم نيتك فيها وهو اعلم بدأ الحشونة في اللبس والمطعم منك
وهو اعلم بدأ الحزن وداً التحايز (25٢) منك حيلتك في سترك من الناس سقم
نيتك منك حيله في ستره منك سقم نيتك ما اسر اليه الحنات التي تصيبها
الدنيا او يقال الدنيا هي اسر اليه من الحنات التي قد سقت فيها النيات لانه
يريد ان يفسدها عليك بعد صدق النية فيها باتقان او بالمال او بتعظيم الناس
فربما انسدها او لا سقم النية فيها وربما افسدها بتعظيم الناس له بها او بالمال
تجلبه عليه بمحناته فياخذ على تلك الانسنة المال الذي اكتبه في جنب حسنة
من حجة او عروة او غير ذلك من برك فما اشد حرصه على هاتين الحسنتين علي
حسنتك التي قد سقت فيها نيتك وافرحه بحسنتك التي قد لبست بها المال
لان ما قد افدت من المال يزيد في رغبتك رغبة لم تكن وفي نشاطك نشاطاً
لم يكن وقوة لم تكن كل ما زاد بك الدنيا زدت انت في الجدة ولو انتقصت
من اصابتك نقصت انت من حرصك وذعبت حلاوة نيتك وثقل عليك خفيف
سفره وطال عليك قصر غيبتك وحق يتنى ان لم تكن سافرت ذلك السفر
ولا خرجت في تلك الجربة فاحذر ما قد علمته من مكيدته واحذر ما لا
تعلم (25٣) من مكايده وما لا تعلم اكثر مما قد علمت وما يخفي عليك اكثر

ثم قد بدلت لك وما ستر انثرنا الحبر ان ثمنه ميت كل مكيدة يجهلها ليس
 هم ملك كل مكيدة تعلمها والله ان اصبح ما تكون عندك نفسك اسقم ما
 يكون سقميا من صحتها وصحتها من سقميا انك ان ادخلتها في الصحة اخرجها
 من الصحة وان ادخلتها في السقم ادخلها لانه يعلم ما لا تعلم انت من نفسك
 اعني عدوك واعلم انسه ليس يستوي علمك بنفسك وعلم الله تعالى بنفسك
 وابليس اعلم بك منك بنفسك والله اعلم بك منك ومنه ولا يستوي علم
 ابليس وعلم الله تعالى بك فعلم الله ابليس بك من علمك وعلم ابليس والذي
 عملت له اعلم بعلمك منك بعلمك فلا تومن من هو اعلم بعلمك منك بعلمك ان
 المصحح عند نفسه آمن والامن على العمل انه صحيح من اذلة العمل والامن على
 السيئات اضر من السيئات والامن على الحسنات اضر بالحسنات من السيئات على
 الحسنات آمن حسنة الى عدوك من سيئة بعد حسنة وقدوت بعد حسنة احب اليه من
 سيئة واستغفار صغيرة مع تركها احب اليه (26٢) من صغيرة اخرى تعمل بها واحب
 اليه من كبيرة تعمل بها انت مشغول بها ومستغفر منها وترك الصغيرة على ما
 وصفت احب اليه من العمل بالكبيرة يتلوها الاستغفار انه يعين السنة الناس
 ان تطلق بدم الصادق وليفسد عليه صدقه ويزيد في الصادق قوة في عمله وقوة في
 نيته حتى يسري من الصادق والكاذب واحذر تجديد قوة الشح وتجديد حلالة
 العمل عند المديح فانه يزيد الصادق قوة عند حادث المدح فيفسد عليه صدقه
 بتجديد نشاطه لم يكن حادث قوة اقوى من القوة الاولى وكل ما زاد مديهم
 وتجديد اعظامهم لذلك العمل حدد له منك حبا وفيه قوة ورغبة وعليه مداومة
 وبه عناية وان ذموا ذلك منك غمك ما كان يفرحك وضاق بك فيه ما اتسع
 واظلم عليك ما كان انوار عندك وصار مرأ بعد ان كان حلوا تجد له ثقلا
 ومنك فترة وله كراهة فيفسد على الصادق صدقه من وجوه ما وصفت لك
 ويزيد الكاذب مداومة واجتهادا في كذبه ويجدد من الصادق عند المديح
 استكبارا لذلك العمل وقد كان له مستغلا حتى يصير في نفسه وغيره سواء (26٣)
 يقال للصادق اكثر الله فينا مثلك وانت ممن ترجى ناحيته فتقبلها النفس او يرى
 رجل رؤيا فيه عيبا عليه فيحدث بها ظاهر قوة وظاهر مداومة وهو من الريا فيفسد
 الصدق فيصير كذبا ويجدد ذلك كذب الكاذب فاحذر مدح الناس واعظامهم

تدعين الخوف من قلة الخوف وهو رياء لطيف فلا يظهر انك تخاف الا ان يظهر ذلك الله فيعلمه الله من باطنك كما يعلم من ظاهرك لانه يثبت لنفسك خوف حتى قلت اني خائف قلة الخوف لقد الطف في زيادته من ادعى الخفاة الى قلة الخفاة .

باب هامة العود الى صفة الله في الفرائض

ما اكثر حاجتك الى فرائضك وحاجتك الى ادبك في فريضةك مثل حاجتك الى فريضةك وصدق نيتك فريضة عليك في فريضةك مثل فريضةك . فرض الله عليك ان تحصى له في علمك كما فرض عليك عملك فانية والصدق في الاخلاص في الفرائض من الصلاة والزكاة والحج والبر المفروض فريضة عليك منك تلك الفرائض لا تقبل الصلاة ولا الزكاة الا بها كما لا يقبل نافله حتى تؤدى الفريضة وكما لا تقبل صلاة بغير (27٢) ظهور كذلك ارادة الله والاخلاص لله بالفرائض وفي الفرائض فاعن بشخص نيتك في فريضةك كما تدن فريضةك بتصحيح نيتك في فريضةك فريضة عليك وتصحيح نيتك في نافلتك فريضة عليك فصدق في النافلة فريضة وقد فرض الله عليك في النافلة ان تحصى له ولم يفرض عليك النافلة فاعن بتصحيح نيتك في نافلتك فانه فريضة عليك وهو اثم لك (X) له اثم من النوافل فالصدق في النية فريضة عليك في الفرائض وفريضة في النوافل ولا تتيب ولا تقبل فريضة ولا نافلة الا به فسل عنه واطلبه كما تطلب الفرائض فانه فرض لا يكون الفريضة الا به والاخلاص في اعمال الفريضة والنوافل وفي طلب العلم وطلب السنة وهي الايمان بالله وبمحمد صلى الله عليه وسلم والقرآن وبالجنة والنار سرا اخلاص واحد فرض الله تعالى الايمان بذلك وفرض ان لا يراد غير الله بذلك فقال فمن كان يرجوا لقاء ربه فليعمل عملاً صالحاً ولا يشرك بعبادة ربه احداً لا ايمان لمن لا يصدق له ولا ايمان لمن لا يريد الله تعالى بايمانه فالاخلاص لله فريضة في الايمان والاعمال وفي التقوى كله وهو فريضة عامة (27٣) على حُرَّتنا وعبادتنا وذِكْرنا وانشائنا وصحبتنا وسقيتنا وفي السفر والحضر فاستو في فريضة الصدق في اخلاصهم في اسفارهم وفي اقامتهم وفي سقمهم وفي صحتهم ولم تستو اعمال فرائضهم في انفس الاعمال واستوت عليهم

فرائض الله في الصدق لله والامانة لله الا ترى ان المتساق ترك فريضة الله
البصحة في بيته وزادته فثبت له ربه فممكن مؤمناً وان كان مقراً باللسان
حيث ترك فريضة الله في تصحيح ارادته في بطنه فرض الله الارادة له بالايمان
به كما فرض الايمان فاحاب المؤمن الصادق بنفسه الفريضة جميعاً الظاهرة
والباطنة فريضة النية وهي الارادة لله بالايمان به ورسله ولا ينفع اصابة الفريضة
الظاهرة لا باصابة الباطنة في الايمان والفرائض والوفائ فاذا رحلت في طلب
العلم لهذه الفريضة او مشيت في طلب العلم لها او جلست في طلب التعليم لها
لغيرك فانت داخل في فريضة وجالس في فريضة وماش في فريضة وهو افضل
من صيام يوم نافلة وافضل من قيام ليلة نافلة وافضل من صدقة نافلة وافضل
من حجة نافلة وافضل من (28) تزور نافلة وافضل من عتق رقبة نافلة وهو
افضل ما اطيع الله فيه فانها فريضة قد فرضها الله وتركها بعض الناس
وتغلبت عليهم لما اكثر حاجتك في احسانك الى تصحيح نيتك وحاجتك الى ان
لا يكرمك الناس ولا يعظموك مثل حاجتك الى احسانك وحاجتك الى ستر
حسانك اكثر من حاجتك الى حسانك وما اكثر حاجتك الى جهالة الناس
بك وبمجانك وبملكك لهذه الفريضة ليس فيها تعب بدن ولا بعد اثر ولا نفعة
في ذات يد وهي افضل من فرائضك فيها تركوا فرائضك وايمانك حاجتك الى
حسانك ان تغلبت ما وصفت لك ثم عرضت عليك الدنيا كلها ان تظهر
حسانك او ترى بها ما قبلت الدنيا ولو حملت عليك عقوبات الدنيا كلها على
ان ترى بمجانك كان ينبغي لك ان تبصر الى تلك العقوبات وكيف ترا من
لا ياخذ منه شياً في الدنيا ولا يحمل عنك شياً من العقاب ولم يبق عليك ولم
يعدل ومن لا يعلم منك ولو علمه منك لملكك وتراي من انت علي يقين من
نظره اليك ومن هو اعلم باظهار حسانك دل ذلك علي جيلك فا احوجك الى
اخفاء حسانك وستر عملك .

(28) باب قلة الاكل ونقص الدنيا

يخاف الله تعالى من ترك الميتة وهو يعاف اكلها فهو يخاف الله ان يتربها
وهو يخاف الله ان ياخذ الفضل منها يخاف ان يعصي الله في تركها اذا اضطر اليها

ويخافه ان يصيب منها اكثر من ميثته ان لو اكلها وهو غنى عنها فهو ياكلها
بحاجته اليها لا لشهوة لها فهذه غاية تصغر الدنيا فاذا كانت في هذا الموضع عند
صاحبها لم يحزن عليها ولم يفرح بها من يفرح ببيتة فاته او من يفرح ببيتة
اقبلت اليه بل يفرح بها مدبرة ويحزن بها مقابلة لانه على حد عياقة واستعداد
ولكن جعل محتاجاً الى الغذاء فهو لا يستطيع ذلك وهو يحتاج اليه في حاجته
مد يده اليها للخافة على فوات لذات حلوة الدنيا.

باب التماس المنفعة في الأكل والشرب واللباس

اذا كان الله تعالى ان من طلب الدنيا فريضة في المطعم والمشرب والملبس
من قبل انه لو ان رجلاً قال لا أأكل ولا أشرب وهو يقدر على الأكل
والشرب كان لنفسه قاتلاً قال الله عز وجل ولا تقتلوا انفسكم ان الله كان
بكم رحيماً فنهى عن اسباب القتل (29٠) كلها فمن قتل نفسه مجدية او بسم
او بفرق او بجوع او بمرض او ببطش فمرا قتله اياها فالفريضة عليه ان
يخرجها من حد قتله اياها بما تيسر وهان في الدنيا من ما بكل الدنيا مما تاكل
الا (x) وغير ذلك مما لا ياكله الناس فان اكلوه امك انفسهم وكان
فيه حياتهم وليس في الأكل شيء معلوم ولا محدود وفريضة اللبس لو ان رجلاً
قال لا أصلي الا عريان ولا امشي الا عريان كان قد ترك الفريضة وهي للحلا
وكان قد ترك ستر العورة وستر العورة فريضة فكان تركاً للفريضة في الامرين
جميعاً فعليه ان يطلب من اللبس ما ستر عورته وادي فيه فريضة بغير لباس
محدود ولا جنس من اجتناس الثياب من وضعا فان ادعى انه يريد ستر العورة
بلباس كسرى وقصر لم يصدق وان ادعى انه يريد سد الجوع بأكل كسرى
وقصر لم يصدق وعلم ان هذا اذا يريد للذة ومنها طلب الدنيا جمع ما احب
من الدنيا فافهم - لا تحلوا العبادة الا بالفكر ولا يملو الريا الا بالفكر قبل
الرياء ولا يخلو حب الدنيا الا بالفكر (29١) قبل حب الدنيا يقول العابد يراني
الله تعالى في عبادتي وتراني الملايكة وهو يقول المرابي يراني الناس
ويقول صاحب الدنيا اذا جمعت الدنيا صنت كذا وكذا فيتبع العلم بعد الحلا
بالفكر تبعه صلى نأيم وزأيم مصلى وصائم مفطر ومنظر صائم وكس عار

تطهر بغير طهر فمما سبب له من حرم نفسه في حرم غيره من الزمان
هذا الصوم الحروف في ضد السيم وصدا لأفطار وأما الصائم المقطر فرجل
جوع نفسه وأفطر من صيام في بابه وعند فطره وسجده فليس له من صيامه
لا اسم صيامه وجوع كبده وثلاً هو الجوع وأما الكاسي فرجل يابس ثيابه
من الثامه فتوبه وصلاته من الله هو كاس من لباسه عار فيا بينه وبين ربه
ومتطهر غير طاهر فرجل اكتسب طهوره لصلاته من ماشه ومعيته فهو متطهر
بثابه غير متطهر من الثام طهوره فهذا طهور متطهر به فهو يطهر قدر بدنه
بقدر الثامه لدينه ويقتي درن بدنه بذنبه فاقدر لا يتقي من القدر والدرن
لا يتقي من الدرّن فقدر بدنه ودم علي (30٠) جسده ايسر في الفاحشة من
درن وضوء وقدر طهوره الذي اكتسبه من اثامه فهو كرجل ثوبا من الحدث
بالدم او غسل دماً بدم او رجل به نقي معيته في ثوبه بمعية في (x).
ماء غسل به ثوبه فثمن طهوره استدل لصلاته من دم ثوبه وقدر جسده
ومحلي نام حلي لينام واستجلب النوم بالصلاة لا لثواب الصلوة استجلب الصلوة
وقد يكون مريداً للنوم بالصلوة ومريداً بالصلوة فصلاته شطران شطر منها
لنومه وشطرها مستجاب لصلاته فوات الصلوة قال وأما بالنائم المحلي فرجل
يريد بنومه القوة على صلاته ليستجلب بقوة المزم قوة الصلوة وذلك نيته فهذا
نائم محلي .

باب صدقه من الظن والخوف والرجاء

قال تظن انك قد ظننت وترجوا انك قد رجوت ولو ظننت عملت وتهم
ان تهم ولم تهم وظننت انك حيث هممت ان تهم قد هممت ولو هممت عملت
وظننت حتى رجوت انك قد رجوت ولو رجوت طلبت ما رجوت وظننت انك
تخاف ولم تخف ولو خفت هربت والخائف ليس بساهي والذي يظن انه يخاف
ساهي الخافة والمخرب (30٠) معاً والظن والعمل معاً والرجاء والطلب معاً من حسن
ظنه حسن عمله قال من اشتد خوفه اشتد هربه ومن اشتد رجاءه اشتد طلبه
قال ومن رجا ولسا فأتانا تني واحترى فابصر الحال التي يكون فيها خائفاً من
الحال التي يكون فيها راجياً انها تنيك ثم تزنك فيظن انه يرجوك وكذلك

ثُمَّ قَالَ: يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَبْلُنَا مِنْ هَذَا نَهَانَا اللَّهُ نَزَلَ وَجَلَ فَقَالَ لَيْسَ بِأَمَانِيكُمْ وَلَا أَمَانِي أَهْلَ الْكِتَابِ مَنْ يَعْمَلُ سُوءًا يُجْزِيهِ وَقَالَ الرَّاجِي سَاعِي الرَّاجِي لَيْسَ بِبَلَاهِي وَالرَّاجِي لَيْسَ بِتَوَانٍ الْمُتَحَنِّنِ لَاهِي سَاهِي وَقَدْ نَعَرَفَ هَذَا أَنَّ الرَّجُلَ قَدْ يَرْجُو الشَّيْءَ مِنْ أَمْرِ الدُّنْيَا مَا فِيهِ طَعْمُهُ أَنَّهُ لَوْ طَلِبَهُ تَدْرُ عَلَيْهِ فَلَا يَتَرَانِي وَلَا يَسْبُو وَلَا يَلْهُوا وَلَا يَقْتَصِرُ بَلْ يَسْتَرْ وَإِذَا رَجَا مَا لَيْسَ طَعْمُهُ أَنَّهُ يَطْفُرُ بِهِ فَإِنَّا تَرَاهُ مُقْتَصِرًا خَيْرَ مُشْتَرٍ لِأَنَّ الَّذِي رَجَا إِنَّمَا كَانَ مِنْهُ وَلَوْ كَانَ رَجَاءً لَطَلَبَ مَا رَجَا فَلَمَّا كَانَ مِنْهُ تَقَاصُرٌ عَنِ طَلَبِ الْمُنَى وَلَمْ يَحْتَثْ مِنْهُ حَقِيقَةُ الرَّجَا فَظَنَّ أَنَّ الْمُنَى رَجَا وَإِنَّ الرَّجَا لَا يَكُونُ إِلَّا بِالتَّعَبِ وَالتَّعَبِ قَالُ مِنْ رَجَا الدُّنْيَا كَانَ تَرَجَا بِهِ حَقَائِقُ حَقِيقَةٍ حُدِّثَ فِي قَلْبِهِ وَحَقِيقَةُ مِنْ ظَاهِرِهِ مِنْ عُنَايَةِ (31٢) كَذَلِكَ الْمُنَى لِلْعُنَى لِلْآخِرَةِ وَكَذَلِكَ الرَّجَا فَالرَّجَا لَهُ لَيْسَ لَهُ حَلَاوَةٌ فِي الْقَلْبِ وَلَا ظَاهِرٌ عُنَايَةِ تَحْلِيهِ الْبَدَنِ وَكُلُّ رَجَاءٍ لَمْ يَكُنْ بِهَذِهِ الصَّنَةِ فَهِيَ رَجَا أَنْ يَكُونَ رَاجِيًا وَمَنْ رَجَا وَطَلَبَ قَدْ ذَاقَ حَلَاوَةَ الرَّجَا بِقَلْبِهِ وَذَاقَ مَرَارَةَ الْعُنَايَةِ عَلَى بَدَنِهِ هَذَا أَصَابَ الرَّجَا فِي إِصَابَةِ نَفْسِ الرَّجَا .

بَابُ يَا أَخِي اعْرِفْ مَوْضِعَ مَا مِنْهُ الشُّكْرُ وَمَا مِنْهُ التَّسْتَغْفَرُ مِنْ مَا كَلَمَكَ أَوْ مَلَبَسَكَ أَوْ مَشْرَبَكَ أَوْ مَرْكَبَكَ أَوْ مَكْبَكَ أَوْ زَوْجَتَكَ أَوْ وَلَدَكَ أَوْ مَكْسَبَ طَاعَةٍ أَوْ مَكْسَبَ مَعْصِيَةٍ فَإِنْ كَانَ مِنْ مَكْسَبٍ طَائِعَةٍ فَاشْكُرْهُ وَإِنْ كَانَ مِنْ مَكْسَبٍ مَعْصِيَةٍ فَاسْتَغْفِرْهُ فَإِنَّكَ أَنْ تَسْتَغْفِرَ فِي هَذَا الْمَكَانِ فَقَدْ اسْتَغْفَرْتَهُ وَشَكَرْتَهُ وَإِنْ أَنْتَ جَعَلْتَهُ مَوْضِعَ شُكْرٍ فَلَمْ تَسْتَغْفِرْهُ فَلَمْ تَصِبْ بِشُكْرِهِ طَرِيقَ شُكْرِهِ فَقَدْ لَقِيَ يُونُسَ مَا لَقِيَ فَا زَالَ مِنْ مَوْضِعِ طَرِيقِ الْغَضَبِ لَهُ وَقَدْ غَضِبَ لَهُ وَلَكِنْ لَمْ يَكُنْ نَصَبٌ فِي الْبَاطِنِ غَضَبُ الْبَاطِنِ فَلَمْ يَنْفَعِهِ الْغَضَبُ حَيْثُ أَخْطَأَ طَرِيقَ الْغَضَبِ الْبَاطِنِ بَلْ كَانَ الْغَضَبُ فِي ذَلِكَ الْمَوْضِعِ مَعْصِيَةً فَلَا يَوْمَنُ عَلَيْكَ أَنْ تَكُونَ أَسْوَأَ حَالًا مِنْ يُونُسَ حِينَ شُكْرِهِ عَلَى مَا كَانَ يَنْبَغِي أَنْ يَسْتَغْفِرَ مِنْهُ فَلَوْ أَنَّ (31٢) أَخَذَا أَفَاتَ مِنْ هَذَا أَفَاتَ يُونُسَ فَلَتَكُنَ الْإِصَابَةُ بِالشَّيْءِ لَمْ يَكُنْ إِلَيْكَ مِنْ إِصَابَةِ الشَّيْءِ فَإِنْ يُونُسَ أَصَابَ الْغَضَبُ وَلَمْ يَصِبْ بِالْغَضَبِ مَا يَكُونُ الْغَضَبُ دَاعِيَةً تَعَالَى لِأَنَّهُ قَدْ غَضِبَ اللَّهُ فِي ظَاهِرِهِ وَقَدْ عَصَاهُ فِي بَاطِنِهِ بِالْغَضَبِ اللَّهُ فِي ظَاهِرِهِ حَتَّى أَغْضَبَ اللَّهُ بِيَاظِنِهِ فِي غَضَبِهِ اللَّهُ فِي ظَاهِرِهِ فَقَالَ أَذْهَبْ مَفَاضِيًا عَلَى قَوْمِهِ، وَيُنْصَرِّفْهَا، فَظَنَّ أَنَّ لَنْ تَسْدَرَ عَلَيْهِ ذَلِكَ الْبَلَاءَ

في هذا الباب على حد ما ذكره في كتابه المسمى عن ترك الحيات
والسمك كما في كتابه في دواء السموم.

باب فضل ترك المعاصي

ترك السيئة وإن كانت صغيرة أفضل من أن لو حجبت آية جبرائة
ون ترك السيئة أفضل وليس بحركة الترك السيئة اعظم من رجائك لماية
حجبة ناقصة بل لو اعتقت مع كل حجة رتبة كان ترك السيئة افضل وأوجاً
لها اعظم والثواب من الله عليها اكثر الى له غزوات عشر غزوات كان ترك
السيئة افضل لان ترك السيئة فريضة والغزوات بافلة بل لو صحت عمرك
فكنت فيه حياً لا تغتر ببارك وقايا (32r) في ذلك لا تغتر بكنفت فرايضك
من ترك سيئاتك صغيرها وكبيرها وفرايضك من اعمالك المفروضة عليك
افضل من ذلك كله وليكن رجائك لفرايضك من ترك كذبته اليه ترك فطره
الي ترك مد شمره ان ترك حلف موعده انت له ارحى وهو منك اعظم وهو
عندك اوثق من جميع ما وصفت من النوافل فذلك ان وثقت بنوافلك ثقتك
بنوافلك سويت بين ما لا يستوي وان كانت نوافلك ارجي عندك واوثق
لك من فرايضك اضرت بنفسك في تصديقك لقرائضك فليترك الله وانت معظم
للفريضة ولاهل الفرائض فان تعظيم الفرائض اولى بك من تعظيم النوافل ومن
الدليل على اعظامك الفرائض فله ادراك بالنوافل على اهل الفرائض ومما
يدلك على تصغيرك وتقليلك الفرائض استطلاك بنوافلك على اهل الفرائض
والفرائض اعم منفعة واعم راحة من نوافلك ليس في فرايضك عجب نوافلك
ولا ادراك بنوافلك واستطالة نوافلك وفرايضك شفا ليس فيها دأ وهي
تذهب بانداء فيها الشفا ونوافلك تجلب كبرك وعجبتك واعراضك واستطالتك
واستغمارك الفقرة (32v) واستهلاك الاعنياء والخلوة عند الاسراء وهي الفة
الفرائض وهي دأ يصيبك وقد يصير دوا نوافلك وذلك انك تستوي قدماك
واقدام امك في فريضتك وانت لا تستطيل من عملك بالمثل الذي يكثر فيه
الهمال معك انما يجلب ذلك عملك الذي تنفرد به وحدك وتعتقد فيه شركاءك
فذلك دأوك الا ترى انك لا تدل على الحيوان ولا على الاجوان بصوم

رمضان ذلك ما يهم وانت عند نفسك صيام حالك وحالهم سرّاً فان انفردت
 بشعبان جلب ذلك عليك ولك عجباً وتكبراً واستكباراً ذلك لان الاخران
 لم يداوروك فيصومونه معك وهكذا كل اعمال البر من الفرائض فما اخفا في
 (مستبها) وما اتقيا في عواقبها واعظم امورها فقد ترجى فرائضك لتوافلك
 وتحشا فوافلك على انفسها وعلى فرائضك فلا تمن من فوافلك للرد لفرائضك
 وفوافلك فانك منها ومن سقم النية فيها على خطر عظيم ان يكون انه عز
 وجل راك تريد غيره بملكك عبداً مثلك فتعنيه من ذلك وتوجه اليه اكثر
 مما وجهت الى ربك ان يكون حكمك عليك مع غضبه عليك (33٤) ان قال
 اعمل ما شئت فلا اقبل منك فانك تعمل في نافتك وفريشتك في غير معتدل ثم
 تسلك معرفة ارادتك ومعرفة سقم نيتك فيستدرجك بتحسين ذلك عندك وقلة
 صرفه عليك ويستدرجك باعظام الناس لك وخشيتهم منك وقبولهم قولك
 ويستدرجك بالقوة والنشاط والمداومة والمثابرة على عملك الذي قصدت بذنتك فيه
 قصد ما وصفت لك حتى يرمينك عندك بسهم حديث فيقول لك ان الصادق
 يداوم والكاذب يفتقر وقد جاء ان الراي لا يثبت اربعين ليلة بل انا اصف
 لك انه يثبت ثمانين سنة وان الصادق يفتقر والفترة اليه اسرع والكاذب اقوى
 والفترة عليه ابداً لانه قد تعجل من عاجل حلالة للريا وحلاوة تعظيم الناس
 وحلاوة ما اصاب به من الدنيا ما يقوى به على التخليص من العبادة والتطويل من
 الريا ومن اوجه استدراجه لك ان ترى في مثلك روياً تقويك على عبادةك
 او ترى لك قسماً وتقص عليك حتى تمن على عملك بروياك او برويا غيرك .

باب الزمهر عن القنوط

ترك القنوط فريضة مثل ترك السبي من المأكول والمشرب ومثل العمل
 (33٥) بالحسنه من الصلاة والصيام وليس مثلاً في العمل بها وليس مثل
 الصبر لان الصبر امر تجزع منه النفس وانت لها متكبره ولها مكره ولا
 تسخط عما تحب النفس اذ فيه حادق وعادل ومجروح وترك القنوط
 حسن عمله بقلبك ليس فيه صبر من نفسك على حسن ظنك بها انها محلة
 حياء وتحمله حقاً لا صدقاً من النفس ولا تعبراً وقد يربا لك من حسن ظنك
 وترك القنوط من ربك افضل مما ترى من باطنك وقد يكون المؤمن عاصياً لله

تعالى في أفعاله مطيعاً لله في تحريمه فعاله مطيعاً لله تعالى في تركه القنوط من الله تعالى فطاعته في الوجهين جميعاً في الطاعة اعظم من تلك المعصية في المصاحبي وقد يرجا لك ما وصفت وقد يكون المؤمن مطيعاً لله في بركة القنوط والياس من الله تعالى فطاعته لله في ذلك طاعة وفريضة وعمله بالمعصية ترك الفريضة فقد يرجا بما عمل من عمل من فريضته في حسن فنه بربه غفران ما ترك من فريضته في طاعة ربه فهو فريضة يرجا بها غفران تلك الفريضة في تلك المعصية وحذرك من امانك اياه وفرضه عليك (347) ترك الامان على العتيان بالاحسان وترك الامان بالاحسان على الاحسان كما فرض عليك ترك القنوط مع العتيان فحرام الياس من الله وحرام الامن من الله على العتيان وعلى الاحسان فلا يامن الله ان يرد عليك احسانك ويذهبك باصغر عصيانك ولا تقنط من الله تعالى ان يغفر باقل الاحسان اكثر العصيان فانه قد اطلع في السرف ان يغفره فقال يا عبادي الذين اسرفوا على انفسهم لا تقنطوا من رحمة الله ونهى عن القنوط من الله فيه فهو ذنب في الذنوب اعظم من الذنوب التي نهى الله تعالى عنها واتوبة منه مثل التوبة من السيه التي قنطت بها من الله فنب الى الله من قنوطك كما توب الى الله من سيأتك التي جلبت عليك قنوطك واستغفرت منها واستغفر الله من أمنك وعده ذنباً من اعظم ذنوبك وخفه كما تخاف اعظم ذنوبك فان الامن على الحسنة كبيره والقنوط على السيه كبيره والقنوط ذنب لا تكتسبه تب بدنك ولا يسر عينك فهو ذنب تكتسبه بتبلك لا بد بدك ولا بتل قدمك ولا ماكل (348) في بطنك قال الله عز وجل يا عبادي الذين اسرفوا على انفسهم لا تقنطوا من رحمة الله ولم يقل اتملوا انفسكم ولا حرقوا انفسكم ولم يقل صوموا بقية اعماركم ولم يقل قوموا فاسهروا بقية ليلتكم من اعماركم ولم يقل ابدلوا كل اموالكم ولا شطرها ولم يقل توبتكم تحريم ما حل انكم ولم يجعل في توبتكم ما حل على قوم موسى قبلكم ولكنه قال يا عبادي الذين اسرفوا على انفسهم لا تقنطوا من رحمة الله يدعوكم الى ان يحسن ظنكم به وجعل فيه فريضة ان حسن ظنكم بربكم يرجي لسرفكم وليس فيها توبة من شرفكم ولكنها طاعة في سرفكم ترجي لشرفكم فانتم من سرفكم ومن ظنكم في حسن ظنكم بين اسرين بين ما يرجا وما يخشا ودر العدل والفضل

من له من الله رحمة . رحمة الله . ان تسمع منكم في رحمة الله .
 جو رحمة وهو اعظم من جنابة جو رحمة عليكم فقال ان الله يغفر الذنوب
 جميعا انه هو الغفور الرحيم ثم اخبرك ان ذلك بشيئة في قوله تعالى يغفر لمن يشا
 ويغيب من يشا من امر السرف ومن اكتسب دون السرف (357) وقال ان
 الله لا يغفر ان يشرك به وتغفر ما دون ذلك لمن يشا واشررك من السرف غير
 السرف بالايان والترحيد وما شا من طاعات المطيع لمن يشا فقله لا تقنطوا من
 رحمة الله نهى وهي فريضة وهي اطاع في غفوا الله وليس فيه بيان غفران لذلك
 السرف فتركك قنوطك موقوف برجايك ويخشى عليك ما كان من السرف
 فالسرف يخشا على تركك القنوط وتركك القنوط يرجا للسرف ويترك ذلك
 من جهة حسن ظنك بربك وتركك قنوطك واليأس من ربك قوله تعالى حجب
 اليكم الايات وزينه في قلوبكم وكره اليكم الكفر والنسوق والاعتصان وانت
 لا تحمل الكفر ثقله على بدنك ولا تحمل الايات ثقله على بدنك ولكن تحمل
 الحب لله وللآيات خفة بقلبك وتحمل الكبر والسخط للكفر بقلبك كذلك
 تحمل احسن ظنك وتركك القنوط خفة بقلبك فليغفرهم رجولك لمن لم تقط من رحمة
 وليعظم خوفك من امن مكر الله فانه لا يامن مكر الله الا القوم الخاسرون .

باب ياره اليه والهم برا وما يتعب (358) من ضررها

قال الهم باليه عمن هم اجاع . وازماع . عقد بالقلب واجاع من العقل وهم
 يحتر بالبال وليس بهم اجاع ولا ازماع ولا عقد بالقلب ولا اجاع من العقل ولا
 ثبات له وهو هم يرسف الذي لم يدعه الله له ولا مكنته منه وهو هم خاره
 وليس فيه هذه الصفة وهو الهم الذي لم يكن اجاعاً ولا عقد عقل وكذلك هو
 من كل مومن والهم الذي هو مثل هم يرسف والجماعة ذنب وليس هو بالذنب
 الذي هم به في نفس ذلك الذنب والمشا في ذلك الذنب الذي هذا الهم به
 الذي وصفت لك مما سيأت والكلالام فيه من سيئات والمجلس لانتظاره مجلس
 سية والنفقة في الذي اجمع علته نفقة سية . والسفر فيه سفر سية . واثر سية
 وليس هو بتلك السية في نفس مشر معمل تلك السية ولكن سية يطلب
 بها سية . فالعمل في طلب السيئات يكتب سيئات والآثار والنفقات في طلب
 سفك الدماء . واخذ الاموال وتطاول الحدود سيئات . تلك السيئات .

انفسها او لم يظفر بها فان جرت المقادير (36٢) يفوق عمل تلك السيئات في
انفسها من ماكل او مشرب او ضرب بيد او وطى بفرج او قتل بسيف او
تحميق بنار فالاثار والمسير والتنفقات سياق وان جرت المقادير بالعمل بها كتبت
تلك السيئات سيئات فتكتب تلك السيئة في العمل بها في اكلها او شربها او
وطيها على وجه ما اعيب فيه سيئة مقتل وتكتب الاثر في طلب تلك
الاعمال الاثر طلب سيئات لان الاثر في طلب السيئة والطلب للسيئة لا
يكسب حنة فالسيئة غشوة شوميا كبيرة تبعها كثيرة ، اوجه ما
تستجلب بها السيئات استعمارها واستقلالها من آتتها ومن علم ضررها
والاضرار عليها من ضررها والاثار في طلبها من السهر والسفر من ضررها والخرن
من فوته على ما فاتته منها من ضررها والفرح بعملها من ضررها والتشي
لأكلها اولها في انفسها من ضررها والتأنيب مثابا تلهف مغصية على
صاحب ذنك كله في كل وجه من ذلك اعظم السبل ويدلك على ذاك ان
الله تعالى سجن يوسف بجملة وما تم له فعله بضع سنين في سجنه وهو في غير
ذنبي (36٣) في العمل ببذنه ما اقصا يوسف ولكن مشى فعاجل الله بهنه
وبشاه وبمقامه وكلامه وينظره فقال ولقد همت به وهم بها فوصف منها هماً
وعم بها فوصف منه مثل عمها ثم حذر بعدها كل من جاءه خيرها فالحلم ذنب
ولا من يوسف ولا منها الذنب في مقتل الذنب فته لم تكن النية التي يحل
سراويله لما والذي صرفت عنه السيئة ولم تصرف عنه الهمة بها فانفقت من سبي
مقتلها واصابه وبال الاجتياح وانقام والمشا والقتال والنظر فلم تكن
تلك الاثر اثر حسنات وكانت الاثر سيئات منه ومثله وهي من عشيرة مثابا
منه سيئات وليس هي بانفس من تلك السيئات ممن هم بها فارادها كرادته
ركهته . قال وهم الخطر للذنوب يراخذ بها هي مثل الصدمة والخرع عند
صدمة المحبة فتلك موضوعه ليست تلك بقله رضا ولا ترك التسليم ولا
خروج من حد الصبر ولكنها جرعة عند المحبة لا يملكها بشر موضوعه
ومنفورة وليست بيسية لان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال عند مصيئته
(37٢) بابراهيم ابنه تدمع العين ويحزن القلب ولا نقول ما يخطئ الرب فالدمعة
وحزن القلب ليس مما يخطئ الله وليس مما فيه ترك الصبر لله وليس فيه ترك

ربنا منه . ومنه قوله ارثنا واثقنا . والتسليم لام الله ولكن وخسه الله عن ان
ادم دمه لا يتصبع حبراً ولا يكتب ولا كذاك ولو كان الله واحداً عند
الصدمة قلة تشني وسخطاً للقضاء وخروجاً من حد الصبر لحسم الله منه نبيه وور
الموت كذلك موضوع عنه .

باب ياره الحمد والبرم برا وما يتعجب من اقربا

فقال والهم بالحنة حسنة والاجماع على الحنة حسنة وليس في الحنة خطرة
ولا يقال خطرة للحنة ولكن يقال ثم بالخيرة في الحنة هو الهم بالحنة والهم
مضاعف الى ما شاء الله من التخميف لا يحد تخفيف ما بشكر الله ولا يحكم
والمشا في الحنة حسنة نحو السيئات التي كتبت لك في حسنة السيئات والآثر
في المحسنات حسنة كانت مكتوب من الحسنات حسنة من وجوه ما وصفت
لك فما اعظم بركة الحسنات وانهم منفعتها واكثر وجوه بركتها واكثر وجوه
ما تجلب الحسنات (372) من الحسنات فالمرء ما جور في طلب الحسنات وفي
الهم ما جور في التفتة في الحسنات فكمن احد رجلين اما رجل اكتب نوافل
الحسنات وفرائض ترك السيئات او رجل اصاب بترك السيئات فرائض الله في
ترك السيئات وما اردت من بر فانظر فيه فان كان الله فان ارادتك حسنة
وعملك حسنة وان لم يكن الله فتركه حسنة فريضة فقد نصيب بترك النافلة
التي لا تريد الله بها فريضة لان الله عز وجل فرض عليك ترك ما لم تدره ولم
يفرض عليك كل البر من النوافل فترك الريا في العمل فريضة والعمل بالرياء ترك
الفريضة والصدق في النية في النافلة فريضة فانت مصيب فريضتين من وجه
ما وصفت لك فريضة في ارادتك الله اخلاصك لله وفيه فريضة الله عليك
وفريضة حيث تركت اللذات من نيتك وتركت ما لم تدر الله به من عمالك فيما
وجهان من الفريضة فريضة ان عملت بالحنة النافلة ان تخلص نيتك فيما وفريضة
ان تركت حسنة النية فيها كاذبة وقد بين الله في آية من كتابه في الآثار
والحسنات فقال ولا يظنون موطناً ليعط الكفار (382) ولا ينالون من عدو نيلاً الا
كتب الاية فسوي بين الاثر والعمل وقال تعالى ذلك بانهم لا يصيبهم ظمأ
ولا نصب ولا محصة في سبيل الله ولا يظنون موطناً ليعط الكفار ولا
ينالون من عدو نيلاً الا كتب لهم به عمل صالح فالليل والالاء والظلم والمحصة

والشقا والتعب والنصب والضجر كل ذلك عمل صالح طلب به الجهاد في سبيل الله تعالى فاعلمه يكتب بذلك كله حسنات قال وقد حضر حكيماً الموت فاجتمع اليه تلاميذه فقالوا رضنا فقال اني لم تكلف اكم الكلام على ما لي اخبروني اموتون انتم بفضل الزهد ام لا قالوا ما لزمناه الا لعلنا بفعله قال اني الدنيا ذلك الفضل ام في الآخرة قالوا اما اذا قررنا بفعله وراينا غير اهله افضل في الدنيا شيئاً من اهله فقد اضطرنا الراي الى ان يجب ذلك الفضل لاهله في الآخرة قال فانكم ان كرهتم الموت الذي هو سيلكم الى الآخرة فقد كرهتم الميزة التي فيها الفضل لكم ورضيتُم بالميزة التي فيها الضرر عليكم مع انكم احق ان تنظروا ما هذا الموت المكروه عند الامة هل تجدونه غير مفارقة الروح (38٧) الجسد قالوا ما نجد غير ذلك قال فهل يسركم ما ادر كتم من العمل او يحزنكم ما فاتكم منه قالوا نعم قال فباي ذنبك الحزين يقتنى العلم وايضا يقصر بكم عن استكماله الجسد الذي قد ترون ما به من العمى والصمم والبكم والاضعف وقلة المنا عند مفارقة الروح اياه ام الذي لا يزال الانسان سميماً بصيراً ناطقاً عاقلاً ما رام فيه قالوا بل بحياة الروح وجهته تدرك العلم وتنقل الجسد وغلظه يقصر عنه قال ان كان قد اسبغ لکم ان العلم ثروة الروح فان الموت يخلي بكم عنه ثقل الجسد فكنتم بدرك العلم مسرورين وبفوقه محزونين لقد اضطرركم الراي الى اختيار مفارقة الروح الجسد على ملازمته اياه الستم ترون ان شوائب الجسد النساء والبنون والاموال وفنول الخاطيء والمشارب والملابس والمواكب وهي الخسرة بالزهد وانكم لم تجعلوا تلك الاموال من الشبهات ولم تظهر منها الا هيمنة للعقول ورغبة في زيادة العلم قالوا بلى قال اما اذا قررتم ان هذه المذات المتعوية للجسد هي المنفعة للعقول فان الاجساد التي (39٢) تقبل المذات هي لها افسد قالو فكيف لنا بان نجتري من الموت على مثل ما اجتوات وترهد في الحياة مثل الذي زهدت فيه قال لهم الحكيم الستم تعلمون ان الحكيم الخالص العاقل البري من الذنوب قد امارت نفسه بيده قبل حين حقه وذلك انه رفض من الاهل والنفعة والمال ما لا يراد الدنيا الا له واحتمل من نصب العباد وعبأ بها ما لا يريح منه الا الموت فاحاجة من لا يتشبع

هي من هذه الحجة الى الحجة او ما ضرب من راسمة له الا ان من
 موت لعري من ظلم من شمس اسم الحركة والزهد في الدنيا غير مستحق
 منها وجعل من ضن ان له اليها مع العيم وانكسار سبلا هل عني ان ياتي
 احكم برأيه ان يجتمع له اسم الزهد في غير سيرة الزهد وانواع المطاعم
 والمشارب والمزبذبات والناكح قلو ما نطعم في ذلك ولا نطعم وكيف نطعم في
 اجتماع الزهد واعمل زعمه الدنيا وقد ربي (روي) ان احدا اذا زاد في مطعمه ومشربه
 بعض الزيادة او قارب منها ما يشغل او يحرك في قلبه شي من اخذاد العقل من
 الشهوة والحرض والحسد واشباعه انكر عقله زماناً وان كان لم يباشر
 شي من ذلك الذي تحرك اليه فكيف بتقاربه تلك الامور ومباشرتها لعري
 ما من شي انفع له من الصياغة ولا اسرع اليه من الفساد الى عقل الحكم
 قالو ما ترك قول معلنا الحكم لنا سبيلاً الى ان نتشع بلذوق او نرغب في
 بقا وما فضل جرمته على الموت على جرمتنا عليه الا نفضل ما اطلع من
 نفسه مما هو غير متسلح ولو قد اطلعنا من انفسنا مثل ما اطلع من نفسه
 مما هو غير متسلح ونفينا عنها من قواينها من الحرض والشهوة والغضب مثل
 الذي نفا لحدث لنا من التجربة على الموت مثل الذي حدث له ، وقال قائل كانوا
 اذا تعلموا فاعلموا فاعلموا واذا شغلوا فاشغلوا فاشغلوا فاشغلوا فاشغلوا فاشغلوا
 في هذه الامور فاذا جميع اخلق قد حلت بهم العقوبة الا من شاء الله وكذلك
 الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال لن يدخل الجنة احد بعمله قيل
 ولا انت يا رسول الله قال ولا انا الا ان يعتمدني الله برحمته ويقال انه قال
 عليه السلام لو اني وعيسى بن مريم اخذنا بنا كسبت هاتين لعذبنا (40٢) عذاباً
 لم يُعذب به احد و اشار باصبعه او نحو هذا فنظرت من ارجاء الناس للرحمة فاذا
 هو المقبل على طلب الآخرة بالعبادة والزهد في الدنيا والورع. ونظرت اهو شي
 يعتمد عليه فاذا هو شي لا يعتمد عليه لانه لا يبلغ في ذلك مبلغاً يستحق الجنة
 بعمله قال ويقال ان عيسى بن مريم عليه السلام قال ان كان فيكم من وثق
 بعمله فاني لا اثق بعلي فنظرت هل تجوز ان يفوز المقرط او يهلك المجتهد فاذا
 ذلك يجوز فاذا الامر قد رجع الى مشيئة الله تعالى اذ لم يستاهل المجتهد بعمله
 ولم يقنط الله المقرط دون الشرك لبعثة رحمته فنظرت هل من خلق فيهم بان

ذلك (x) فاذا العابد الذي قال للمفرط والله لا يغفر لك فغفر الله للمفرط
وكان تفريطه سبب النجاة والمغفرة وادخل العابد النار فكانت عبادته سبب
هلاكه واذا صديق بني اسرائيل حيث قال انا صديق بني اسرائيل كان سبب
هلاكه شدة اجتهاده وكان خليع بني اسرائيل سبب نجاة تفريطه حيث اذرى
على نفسه فراس هذا علم اخفى علي احلقت الا انك ترجوا المجتهد في الخير
يحاف على المفرط ويرجوا (40) بعد المفرط ويخاف على المجتهد لانه
حكم عدل الا تري لو ان سارقاً سرق عشرة دراهم وسارقاً سرق مائة الف
درهم كان حكم الله فيها واحداً قطع ايده فكذلك لا يورس على من
عصى الله تعالى ان تحمل به العقوبة الا ان يغفر عنه وكافي رايت ارجا الناس
للنجاة اخوفهم على نفسه الا تري ان يونس ان ظن ان الله لا يعاقبه جعل عليه
العقوبة وقد ذكر ان قوماً اذروا على نفوسهم وخافوا الهلاك فعادوا بلوم انفسهم
نحو حيث الاسكاف الذي قال ارى الناس يدخلون الجنة وادخل النار والذي
احاب ديننا فقال ما يرضى نبي ربي فكتب صديقاً والذي قال مثلي يدخل
المسجد ومثلي يجلس مع هؤلاء فكنت صديقاً والعابد الذي قال لنفسه
من قبلك اتيت وليس عندك خبر قليل له ساعتك هذه التي اذريت فيها على
نفسك افضل من عبادتك كلها وقالت عائشة رضي الله عنها اذا علمت انك
محسن فانت مسي واذا علمت انك مسي فانت محسن وقال بعض الناس هلك
من لم يقر انه هالك وقال الفضل لعيسى بن يونس انا اخاف عليك انك تري
(41) انك عالم وانت جاهل او ان تري ان عندك خيراً وليس عندك خيراً او
كما قال فزائنا الازراء اشبه الطرق ثم لم نأمن ان نجه من هذا الوجه فنقول
انك خائف وانك وجل فاستبشر فانك ناسر وفايز فيا وبيع المسكين ما
يدري اني يرقى وكيف يهلك ومن اي وجه يهلك امن وجه الاحسان ام من
وجه الاساءة الا ان الاحسان والاجتهاد احمد واعذر واحلقت الله يغفر لمن يشا
ويغيب من يشا فنقول ما شا الله وقال ما احسن كثرة العذلة والصوم ولكن
نبيل الرجل وشرفه وصومه وبره وعقله ووعدده فاذا بلى بعمل من اعمال البر علم
الله منه عنايته بلقاياه واحكامه واخلاصه واذا ابتلى باعمال الشر علم الله منه
تحذره من الاثم في منطقته وسمعه وبصره وفرجه وجوارحه من مطعنه وغير

ذُنُوبِي بِشَيْءٍ سَمِعْتُ بِهِ نَسَامَتَهُ وَدَعَا رَحْمَتَهُ رَتُونَهُ فَبَسَدَ مِنْ
الرَّجُلِ وَشَرَفَهُ وَقَدْ يَكُونُ كَثِيرُ الصَّلَاةِ وَالصُّرْمِ وَلَا يَكُونُ لَهُ ذِكْرُ الْخُذْرِ مِنَ
الدِّينِ وَلَا دَقَّةُ النَّظَرِ فِي الْأُمُورِ وَقَدْ يَكُونُ كَثِيرُ الصَّلَاةِ وَالصِّيَامِ وَهُوَ يَجِبُ
كَثْرَةُ الْمَالِ (41٧) وَيَجِبُ الْمُتَزَلُّةُ عِنْدَ النَّاسِ وَأَنْ يَدُورَ الْأَمْرُ عَلَى الصَّدَقِ وَابِرِ
وَالْوَرَعِ وَالْعَقْلِ أَنْ يَكُونَ ثَابِتًا لَا يُزُولُ عِنْدَ الرِّضَا وَالغَضَبِ وَلَا عِنْدَ اخْتِلَافِ
الدُّنْيَا وَلَا عِنْدَ انْزِلَالِ وَالْمَنْعِ وَلَا عِنْدَ التَّكْرِمَةِ وَالْخَوَانِ بِشِدَّةِ مَذَاهِبِهِ وَشُمَائِلِهِ
فِي أَيِّ حَالٍ كَانَ عَلَى مَرْتَبَةٍ وَاحِدَةٍ فَيُذَا انْتَسَبَ فِي الدُّنْيَا إِلَى الْتَبَلِّ وَتَشَرَّفَ
فِي أَمْرِ دِينِهِ وَقَالَ قَابِلٌ فِي مَعْرِفَةِ الْخُفْسِ إِنِّي اتَّهَمْتُ نَفْسِي عَلَى دِينِي وَاتَّهَمْتُ
مَعْرِفَتِي بِنَفْسِي فَلَمَّا صَحَّحْتُ النَّظَرَ وَاطَّلَعْتُ الْفِكَرَ لَاقِعَ عَلَى حَقِيقَةِ مَعْرِفَتِي بِنَفْسِي
وَجَدْتُهَا تَكَلِّمُ بِكَلَامِ الْخَائِبِينَ مَا لَمْ تَنْظُرْ إِلَى الْخُوفِ وَتَقُولُ بِقَوْلِ الْإِبْرَارِ
مَا لَمْ يَتَّخِذْ بِالْقُوَى وَتَصِفُ الصَّادِقِينَ مَا لَمْ تَحْتَجْ إِلَى الْعَمَلِ بِهِ وَتَدْعِي
دَعْوَى الْمُؤَقِّنِينَ مَا لَمْ يَتَّخِذْ بِالْإِخْلَاصِ وَتَزْعُمُ أَنَّهَا مِنَ الشَّرَاحِصِينَ مَا لَمْ تَخْتَلِفْ
هُوَأَهَا عِنْدَ مَهْمِئِجِ الْغَضَبِ فَلَمْ أَكُنْ أَتَوَهُمْ عِنْدَ وَصْفِي لِلصَّدَقِ وَأَثْبَاتِ قَوْلِي لِلْحَقِّ
وَحُلَاوَةِ مَنْطِقِي بِالْإِخْلَاصِ إِلَّا أَنِّي كَذَلِكَ فَإِذَا امْتَحَنْتُ فِي مَوَاطِنِ الْحَقِّ لِحَاسِنِ
الْقَوْلِ مَنِي وَجَدْتُني كَاذِبًا وَإِذَا احْتَجَجْتُ فِي مَوَاطِنِ الْخُوفِ إِلَى خَوْفِي وَجَدْتُني إِذَا
وَإِذَا احْتَجَجْتُ فِي مَوَاطِنِ الْإِخْلَاصِ إِلَى الْإِخْلَاصِ وَجَدْتُني مُرَائِيًا (42٢) فِي غَيْرِ
مَوَاطِنٍ وَلَا (X). وَلَا أَكْثَرَ مِنْ أَنْ أَحْتَبِهُ فَإِنْ ثَبَتَ فِي وَصْفِي لِحَاسِنِ قَوْلِي
وَجِبَ أَنْ يَكُونَ ذَلِكَ مِنْ مَخْرَجِ الْحَقِّ مِنْ قَلْبِي إِذَا كُنْتُ أَحْسَنَ وَصْفِ الصَّدَقِ
بِالْقَوْلِ وَلَا أَجِدُ حَقِيقَةَ الصَّدَقِ فِي الْعَمَلِ فَظَهَرَ لِي بِذَلِكَ فَسَادُ عَمَلِي وَصَحَّ عِنْدِي
وَصَفِ مَنْطِقِي فَرَجَعْتُ مُلْتَمِسًا مِنْ أَيْمَنِ فَسَادِ عَمَلِي فَعَلِمْتُ أَنَّ فَسَادَ عَمَلِي مِنْ
فَسَادِ قَلْبِي وَلَوْ صَحَّ يَا قَلْبِي لَصَحَّ مَنِي قَوْلِي وَاصْدَقَ بِالْوَصْفِ لِسَانِي وَلَمْ يَظْهَرْ مَنِي
الْتَرْتِيبُ لَمْ لَا يَمْلِكُ خَيْرِي وَلَا نَفْعِي فَاطَّلَعْتُ الْفِكَرَ وَصَحَّحْتُ النَّظَرَ وَاسْتَعْنَتُ
بِالْعِلْمِ لَاقِعَ عَلَى الْعِلَّةِ الَّتِي فَرَقْتُ بَيْنَ أَحْسَنَ وَصْفِي وَقَبِيحِ خَيْرِي فِي امْتِحَانِي ثُمَّ
تَدَبَّرْتُ مَا يَظْهَرُ مِنْ لِسَانِي فَصَحَّ عِنْدِي أَنَّ اللِّسَانَ مُتَرْجِمُ الْقَلْبِ فَوَجَدْتُ اللِّسَانَ
يَصِفُ الْحَقَّ فَيَحْسُنُ وَيَصِفُ الصَّدَقَ فَيُصِيبُ ثُمَّ يَتَّخِذُ الْإِخْلَاصَ بِهَا فَيَجِيدُ
فَتَحِيرْتُ عِنْدَ حَسَنِ هَذَا الْوَصْفِ وَبَعْدَ هَذَا الْخُبَرِ وَقُلْتُ إِنَّ كَانَ لِسَانِي مُتَرْجِمًا عَنْ
قَلْبِي فَتَرْجِمْ بِهِ هَذَا الْحَاسِنَ لَمْ أَشْكُ أَنَّ سَاكِنَ قَلْبِي الصَّدَقَ وَغَامِرَهُ الْخُوفَ وَلَوْلَا

ذلك لترجم اللسان بخلاف ما قد ظير منه من وصف البر والاحسان فاضطررتي
 العناية الى استرشاد (42٧) العلم والمعرفة والاستعانة بدليل العقل فاسترشدتهم
 فدلوني على ان النفس تقتل من علمها ومعرفتها وتضطر الى دلالة تجملها في كل
 ما عم به وجها عند الناس ليعرفوا فضلها في علمها وحسن سيرتها في ادائها واذا
 وقع الامتحان الذي ينبغي ان يعمل بعلمها ويتكلم فيه لله بها قدمت هواها
 واحترت عملها ورخت ببراءة فدلنتي المعرفة بانها هي المعتبرة عن نفسها بالصدق
 بالقول في غير مواطن الصدق وهي الميقتة عن نفسها التورع في قولها والري
 في عملها اخفي كثير ذلك منها على العارفين من المدعين المعرفة بانفسهم فما ظنك
 بالجاهلين بانفسهم وانما تصح معرفة ما وصفنا عند جابذة العالمين من العارفين
 بانفسهم عند تحقيق الامتحان فلا تعجب بخائن وصف نفسك الصدق فاذا
 احتجت الى صدقها كذبت ولا تطمين الى صحة وصفها للحق فاذا احتجت الى
 قيامها به عدلت ولا تلتقين الي حسن وصفها للاخلاص فاذا اضطررت الى
 اخلاصها رايت وترينت ولا تستر بوصفها البر والتقوي فاذا امتحنت برها
 وتقواها غدرت وفخرت ولا تقبلن منها دعوي الخوف فاذا افتقرت (43٢) الي
 خوفها امتت وبطرت ولا تبقين باظهارها الرضا والتوكل فاذا غارضا خوف الفقر
 دون (x x) قنطت وينت وان غارضا ايسر البلا سخطت وجزعت
 ولا يعرفنك ما تظير لك من تواضعها واسترخاء اذنيها فاذا احتجت الي حقيقة
 الامتحان تكبرت وتنجبرت يا مغرور ولا تقبلن منها دعواها الحلم وكلمها في
 مواطن الترن فاذا افتقرت الي جليلها عند استماع ما يجاب به من قول حقير
 فيها مما يسخط منه سفت وغيضت فان مدحت بياخلد مع موافقة ذلك هواها
 اهترت وفرحت يا مغرور ولا تفرحن ببادرتها في اصطباغ المعروف والمبادرة في
 الخيرات فان لم تشكر على معروفها وتقور لها احسانها غضبت وقطعت بك في
 كل حال يحتاج فيه الي صدقها وخذلتك في كل اوان يحتاج فيه الي
 اخلاصها واليستك في كل اوان يحتاج الي شكرها للنعم عليها فلا تكفين
 الي محاسن وصفها للترن وكبير عملها للريا ولكن انظر كيف تبطل محاسن
 وصفها بقبيح خبرها واعلم انما تستخرج محاسن ما في القلوب من الصدق (43٣)
 وساري ما في القلوب من الكذب في مواطن الامتحان فمندها تبدو فضايح

ما تمنى به الخير انفس من شر ان كان فيها اذ خير ان كان عندك خير
نفسك بئذان عقلك في مواطن الامتحان فحقته عليها واستحي من دعوات الصق
وقد ظيهر لك سبيل الرب منها وصح عندك مخرج الكذب من خاص
ضميرها وليكن لك في الحق نصيب باقوارك عليها بكنها وانباتك لما باطلها
فتدبرت هذا الوصف من دلالات العلم والمعرفة وشهادة العقل لها بصدق
ما دلا فوجدت الخير الثاني فيه وعلمت ان كان ساكن قلبي الصدق
والثبوت او كان عامره اخوف والاخلاص لا غاوتي عند اوان حاجتي
اليهم فلما فقدتهم في مواطن الحاجة اليهم ظيهر من قلبي عند اضطراري الي
اخوف الامن وعند استعانتني بالصدق ظيهر منه الكذب وعند فوزي الي
الاخلاص ظيهر منه الترتن وعند استعانتني بالتواضع ظيهر منه الكبر وعند حاجتي
الي الحلم ظيهر منه السفه وعند امانتي للسمع ظيهر منه الحرص والشره وفي
اوان التوردة وحسن (44٦) النظر ظهرت مني العجلة والرغبة وفي اوان حسن الظن
والثقة ظيهر مني الاستبطا والتعوط وخوف الفقر وعند حسن الشاء والمدح بما ليس
في ظيهر مني السرور والرضا به عند الذم بسوء السيرة بما قد عرفته مني ظيهر
مني الغضب تسخطا لما قيل في فصيح عندي مع تصحيح هذا الوصف ان
ساكن قلبي وغامره الريب والكذب وعلمت ان قلبا غامره الريب وساكنه
الكذب ان الكذب والفجور والريب بجانب لليقين خير انه يجب على العبد
قرضا عليه ان يقر بالاثان ولا يجحده فيكون زياده في شره فعظمت عند تصحيح
هذا اخير مصيبي وهذا حال فيه عظمت بليتي الا ان يتعديني الله بجمل غفوه
ولم ينقطع عند قبيح ما بدا لي من نفسي رجائي وعلمت ان الله تعالى اكرم من
ان يريد عباده بمعرفته او يدهم بعونه ثم يحزهم عند اوان حاجتهم اليه او ان يطلبه
العبد ويضطر اليه ويحسن الظن به ثم يخلفه ظنه فسهل على ما بدا لي من
قبيح امري وشرارة نفسي واحتيال ابليس لي في احوال وعلمت ان كيد الله
عز ذكره (44٧) انك من كيد ابليس في بني آدم وعلمت ان من تفضل علي
بهوب معرفة وهذا وصفي انه قادر على اصلاح فساد قلبي فلم ايس قال
قلت لما تسيله لك بطلب الصدق قال اذ اظهر علي عيوب نفسي وكذبها
واقدرت به فقد سهل لي طريق مطلب الصدق قال قلت لما الذي يبول بينك

وبين الصدق اذ تركت درجته وقد عرفك معارج الكذب قال يحول بيني وبينه
ترك الشكر مني له على ما عرفني من عيوب نفسي وكذبها قلت فما شكرك
هذه النعمة الي قد حالت بينك وبين ان تزال درجة الصدق قال تركي الكذب
في مواطن الامتحان قلت فان عجزت عن ذلك فما استعين عليه قال بالصبر على
مخالفة هواها فيه قلت فان لم اخلق في مواطن الامتحان اذا هي تكلمت ان
امتنع من الترتين والكذب فقال فاجبها فيه من الكلام قلت فان قهرتني
وتكلمت وندمت قال ففرض عليك ان تهرب بها من كل موطن تعلم يقيناً
انها تقهرك فيه على الكذب والترتين قلت فان لم اصبر على ان اجبها من هذه
المواطن التي تقهرني (45٢) فيها بالترتين والكذب قال فمن اجل غلبة حب الكذب
عليك (x) بها محل الكذب والاريا والترتين واعلم يقيناً ان بينك وبين
الصدق عتبة الكذب ينبغي لك ان تقطعها قلت قد صح عندي فقل ما بين
الدرجتين واني لا احل الي ركوب درجة الصدق الا بتزولي عن درجة الكذب
ولكنني قد رجعت مضطراً الي مرفقي التي هي صلاح فساد القلب من بعد ان
صح عندي النقاد ولم التفت الي عملي لانه قد صح عندي اي لا ادرك بستم
عملي اصلاح فساد قلبي فرجعت ملتصاً من ان اتيث ومن ان ذعبت بفساد
قابي وما الذي ينبغي عن القلب الكذب والريب فوجدته اخوف الصادق فصح
عندي ان قلباً غامر الخوف الصادق ما للريب فيه ميت ولا مقل الا باخطرات
والوساوس من الشيطان ثم ينفذ الخوف عن مسكنه فلما صح عندي ذلك
علمت ان الخوف اولاً يتفجر منه الخوف وطلبت العين التي يتفجر منها الخوف
ما هي فوجدتها الشكر لله فلما صح عندي ان يخرج الخوف من الشكر علمت
ان للشكر مجراً يخرج منه الشكر وطلبت البحر الذي منه يخرج الشكر
فوجدته (45٣) اليقين فالتصت اليقين اولاً فلم اجدته وطلبت بخرجه من ان هو
فوجدت مخرجه من عند الله فانتهيت الى غاية الغايات فوجدت الله اول كل شي
وخالق كل شي والدادل على كل شي ووجدت الذي يتلوه وهو الدليل عليه
الايمان به وهو اقرب الى اليقين من كل شي لانه ممن ايقن بالمنهم عليه شكره
علي نعمه فطلبت ادنى الاسباب الى الشكر فوجدت الخوف اقرب الى الشكر
من كل شي لانه من شكر الله تعالى على نعمه يخافه على زوال نعمه ومن

فإذا شكر القلب اليقين والشكر والخوف تفر عن القلب أريب والكذب وخالفه الايمان وكان القلب متورداً باليقين مرتين بالشكر معصوماً بالخوف مستعداً بالرجاء مشتاقاً الى ما به قد ايقن زاهداً في كل ما هو دونه فإذا كان للقلب على ما وصفنا وجدت صاحبه ممكناً عن وصف ما يعرف وذلك كله من فنه فإذا جاءت الحطرات التي تحركه لما فيه عند حقائق الامتحان (46٧) ظهر ما في القلب من الصدق في اوانه ومن التقوى في اوانه ومن الخوف في اوانه ومن الاخلاص في اوانه ومن الشكر في اوانه ومن التواضع في امتحانه ومن قول الحق في مواطن امتحانه ومن حسن التوكل في اوانه ومن كراهيته للسلح وحسن الثناء وقلة محبته للرياسة والتعظيم في اوانه ومن حبه اخمال نفسه في اوانه وذلك كله كامن فيه فلما تبينت ما فساد القلب بالمانى الذي وصفنا كثر علي دعوي الصدق بعد معرفتي نفسي وقلت كيف بالجراة مني علي هذه الدعوى فدلتني العمل علي ان دعواك الصدق تاكل ما فاتك من الكذب فنعمة حربك علي دعواك فصدقته قلت قد فهمت عنك ما وصفته من فساد العمل وذلك لان مخرجه من فساد القلب ثم استني من اصلاحه ألا بالخوف الصادق ثم اخبرتني ان الخوف الصادق لا يكون الا من اليقين وقد علمت ان من اليقين ما هو اكثر منه ثم لا ينتهي لعظمة الله فصف لي اقله فقد علمت ان باقله قد يدرك الادمي كل المنافع على قدره قال (46٧) صدقت فاعلم ان اليقين نور يجعله الله تعالى في قلب عبده فيشاهد به القلب وامور الآخرة كالشاهد لما بالعمى بها فيرى ما عنانك من الجنة والنار وعظيم ملكوت السماوات بروية نور القلب به هو انفس من روية الاعين لمشاهدة الدنيا ثم يرجع الى القلب بالشهادة على ما قد نفذ فيه نور قلبه فيملا القلب باقل ما فيه من اليقين نوراً ينفي عن القلب كل ظلمة فهو قول الله في كتابه او من كان ميتاً فأحييناه ليس ميتة الاموات وذلك ان الله لم يرد ميتاً مات الى الدنيا ولكن ميتة الاحياء وهي الظلمة التي كانت في قلوبهم فانارهم الله باليقين فعمي حياتها ومن اراد ان يتركه ميتاً وهو حي يمسي بسين ظهراني الناس وهو عند الله وعند المؤمنين الاحياء للظلمة التي في قلبه تركه الله في ظلمة لا يطالع بظلمة قلبه شيئا من شواهد الآخرة قد حالت الحجب بينه وبين

مطالعياً فهو يقول منا يقول الموقنون ويصف صفاتهم والقلب مظلم لا نور له
فليس لوصفه حلاوة ولا لاعماله نور فقال أو من (47٢) كان ميتاً فاحيناه فهو
الكافر والمنافق والجاهل فاخرج الكافر من كفره والمنافق من نفاقه والجاهل
من جهله ففي حياتهم ثم قال وجعل له نوراً يضيء به في اناس كمن مثله في
الظلمات ليس بخارج منها افرايت من تركه الله في ظلمته من يستطيع ان
يخرجه منها الا الذي نزل فيه فاخبر الله تعالى انه ليس بخارج من الظلمة فقلت
الجملة ممن يدعي الاستطاعة بل نحن نستطيع ان نخرج منها وقال الله تعالى
ليس بخارج منها حكماً وادعي الادمي الجاهل انه يستطيع حكماً منه فلو علم
الممكن انه اذا صار لا يستطيع كثيراً بما تريد من احواله في دعواه الاستطاعة
كثير من الاستطاعة كي يستطيع (وبلجا) الي الذي يملك ضره ونفعه في الطاعات
والمعاصي ليعينه على ما لا يستطيع ونعود الى ذكر اليقين قال قائل اليقين اذا
اوصل الى القلب يلا القلب نوراً وينفي عنه كل ما يريب فيستل باقله القلب
شكراً ومن الله تعالى خوفاً وذلك لان اليقين معرفة عظيمة الله تعالى قدر عظمة
الله وعظم قدر معرفة عظم الله فلذلك يكون قدر (47٣) الخوف من عظمة الله
وبتدبر كثرة الخوف لله يمتدح العبد من معية الله ويصدق في الاعمال
من طاعة الله فاذا صح اليقين في القلب صح الخوف فيه وعمر خرابه فاذا قل
الخوف خرب القلب وقيل عمرانه قال قلت لما عمران الخوف في القلب قال
اخزن الدائم والاعتبار بما يري والاعتبار بما تسع قلت لما خرابه قال اذا لم
يكن فيه ما وصفنا قلت فاذا لم يكن في القلب الخوف واخزن لما الذي يخلقه
ويبعده قال الامن منه والسرور بالدنيا وانفراح ومن الفرح والسرور تنتج القسوة
والغفلة ومن بينهما ينتج العجب ومن العجب يخرج الكفر كقول النبي صلى الله
عليه وسلم اخوف ما اخاف عليكم شبحاً مطاعاً وهوي متبعاً وانجاب
كل ذي راي براهه واذا سكن في القلب العجب ورثه الكبير وكان غامره
حينئذ حب التعظيم وحب الثنا وحب الرياسة والندح فان لم يفصل ذلك به
انفخت اوداجه واحمر حماليق عينه غضباً وذلك محض الكبر قلت فاذا صح
القلب بتصحيح الخوف فيه صحت الاعمال قال فما ظنك بالدابة ابيدها (48٢)
قايدها وحشاً سابقاً تقصر في السير طاعتها ومجودها قلت لا قال فلذلك لا

يستحق في عبادته خمس سمعية. فذا اشد احتق وسائر الخوف صادق انما لا
تقتصر في مسائل الطاعات بالاستقامة خوف العقابة وخطر. في يخرج الامن
والاستبانة من قلبك فكيف يوجب الطاعات فيه ان العقوبات تعجلت مع
الرؤوب على المعاصي لاقتصرنا عن المعاصي ولاستبرينا بحسن السيرة من الاخلاق
والاداب لامر الدنيا ولجئت بنا الاستقامة لاعدال الاخيرة ولكن العقوبات
تخورت فاستبرينا قبج السيرة من الاخلاق والاداب لامر الدنيا ففقدنا الخوف
وقعد بنا الامن والاجتهاد عن استقامة اعمال الاخيرة ولكن من ثقة منا بصبرنا
على وعيده وعقابه لبنا ثوب الاستبانة ولكن من قلة يقيننا اننا حذرنا من
عقابه فاننا لله وانا اليه راجعون وقال قابيل متعذرا لله واياكم بالنعمة والعافية ومن علينا
وعليكم بشكر يحلب انزيد ووقفنا واياكم لامتيار الحكمة والنعمة ولايثار المبادرة
على حسن الشكر منا عليه اني للعناية بنفسي ومن اعني (48) به صرفت ما اعطت
لاختبر به ما جهلت فلم اجد احبط للاعمال المستورة ولا افسد للقلوب الجاملة ولا
اضر بالحكمة الباقية ولا اجمع في هلكة العبد انريد ولا اؤوم على اضرار الموفيق
ولا ابعد عن الانصاف ولا اقرب من الجور في الحكم ولا الزم حاجة العجب ولا
اثر جلب الهوى ولا اجعل لاحصاء الحق ولا اعمل بالريا والتزين ولا ابرك الخالص
النصح ولا اعمل بتوافقة الهوى ولا اشد من (كلمة ناقصة من قلم الناسخ) سخطا
له اذا خالف منه الهوى ولا ابعد من حسن السيرة ولا اقرب من قبجها
ولا احسن ظاهرا ولا اقبح باطنا من غفلة الرجل عن نفسه وقلة معرفته بها سيما
ان كان عاقلا مريدا فاجابته نفسه حينئذ اني احتمل مؤن الطاعات او عالما مودعا
فادرك بعلمه فضيلة لم تكن نفسه بامها ولا يبلغها بملك من ملك الدنيا عظم
نفسه حينئذ ترصده ارضاد تُصي له اصبا السبع في المكان الخفي كي تنال
حظها منه في جهله بها فتنب عليه وثبة تملكه بهواءا وتاسره بمواقفها فحينئذ
(x) العبد في جهله بها وينشط (49) في مساعدتها وان كان يدعى انه لا
يشق بها فلا يفضي الا لها ولا يرضى الا لها ولا يحتمل من الاعمال الا ما وافق
هواها وان كان فيه خلاف الحق ومع ذلك يفقد من مثله الخوف الا بالدعوى
ويقل منه الخشوع والحيا ويكثر فيه التزين والريا وذلك غفلة العبد عن نفسه
وجله بها ويظهر منه عند ذلك الرجا الكاذب والخوف الكاذب ويحسن ظاهره

وكلامه ويفسد ويتبع باطنه وهمة وإشارة ذلك في مثله أن يقل الإيضاف من نفسه لغيره ويلتمس التعصب لنفسه من غيره أنه من لم يعرف نفسه فهو من استقامة نفسه في أعوجاج ومن دنياه على قبح وفساد ومن دينه على غرور وإني استرشدت العلم والعقل أن يقتلاني على معرفتي بنفسي وبأنذا اختلبه فارشداني بأن العبد لا يصل إلى معرفة نفسه إلا بصدق الخوف واستدراك ما مضى من سيئ أعماله السالفة واضطرارة على مساوية والمقام عليها فقلت أما ما مضى من الإساءة فإن استدركها فلعلمه أن يتعرف بخبا وأما المساوي التي هو مقيم عليها فقد (٤٩٧) عازره بتعرفها قال أنا عازره معرفتها لجله بعبود نفسه ولا يتلافه بها قال قلت فكيف معرفتها عيوباً فإنه قد قيل إن الله تعالى إذا أراد لعبده خيراً عرفه عيوب نفسه فالنفس هل تتفرد بعبود دون العبد وهل لها من عيوب غير العيوب الظاهرة من المعاصي كالتفجور والسرقة وشرب الخمر والفسق وما شاكل ذلك مما يظنير للمخلوقين قال لها معاصي باطنه تخفى على العبد وعلى المخلوقين فادناها أضر على العبد من النظام من المعاصي الظاهرة قل قلت ثبت لي علم ذلك في التزبل أو في السنة أو في الأثر قال إن كان متعمك خمسون حجة ولا زدتك قلت خمس من خمسين قال ألم تسمع قول الله تعالى إن النفس لامارة بالسوء وقوله تعالى وأما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى ربي قصة ولد آدم فطوعت له نفسه قتل أخيه فقتله قال بل سولت لكم أنفسكم أمراً فصبر جميل وقال ما خطبك يا سامري إلى قوله سولت لي نفسي وقال النبي صلى الله عليه وسلم رجعت من الجهاد (٥٠٢) الاضطر إلى الجهاد الأكبر مجاهدة النفوس وقال رجل ما أفضل الجهاد قال مجاهدتك نفسك وهواك ويقال أكل شي نفس ونفس النفس الهوى ونفس الهوى الشهوات وقال الحسن حادوث هذه القلوب بذكر الله فأبش سريعة الدثور واتقوا هذه الأنفس فاتها ظلمة وقال يونس بن عبيد إلى وحده نفسي تحمل لي مروة الصرم في الحر الشديد بالبصرة ولا تحتل لي ترك كلمة لا يعينها وقال أوحى الله تعالى إلى داود عليه السلام يا داود عاد نفسك في ودي بعداوتها وكان النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه يعوذون بالله من شرور أنفسهم فإن النفس مطبوعة على الميل إلى حُب هواها ما لم يحجرها الخوف وقد حرم الله تعالى هواها في الكتاب والسنة ويحببك من معرفتك

بشرطه ان لا تعاني حال هواناً ضد الحق وحقى قبلة من هوانها قبل ان سر
 ذكره يا داود يا ربك سيدي يا ربك يا ربك يا ربك يا ربك يا ربك
 الهوى فيظنك عن سبيل الله وقال امير المؤمنين عليه السلام (307) اخوف من
 اخاف عليكم طول الامل واتباع الهوى فاما طول الامل فينسي الآخرة واما
 اتباع الهوى فيبعد عن الحق وقال قيل اخف عليكم بلالاً شبيهاً منفاً
 وهوى متبعاً واعجاب المر بنفسه . كنت فلان ارجع مضطراً الى معرفة النفس
 وعيوبها اذ كنت لا اسلم عليها في اعمالي اشر وارجع مضطراً الى علم معنى
 قول (سبعين؟) اذا عرف العبد نفسه لم يضره ما قيل فيه من ذم وما عمل من
 اعمال اخير سراً وجهراً وقد سمعتك تقول كفى ما لا يضر فهو ينفع فما اري من
 العلم بعد العمل اعود نفعاً على العبد من معرفته بنفسه فاشرح لي من ذلك ما
 يرجع بي الى النفع في اعمالي ويُنصِرني فساد اعمالي وحلاها قال ما ازال تعقل
 ما سالت عنه لقد سالت عن اصل الخير والشر وفروعها ما ظير منها وما بطن
 ما يعقل منه وما يجبل وسالت عن علم لا يُحتمل اليوم ومن احسلة فيبارة
 القول منه فقط والعجز عن احتماله للعمل وذلك ان فيه علم الصبر والمكروه
 والتزوع عن ظاهر اشر وباطنه واحتمال ظاهراً اخيراً وباطنه بمعنى حقيقة (31)
 الصدق في القول والاخلاص في العمل وهو اثوبة النصوح والخوف الباطن والحزن
 الدائم والفكر في اُماد وهيئات ان يصل العبد الى معرفة عيوب نفسه الا بعقل
 وعلم غزير وبمعرفة شافية وحكمة بالغة وبصيرة ثابتة بعرفه ان فيه خافض
 الدين وقال الله تعالى لئن لم يكن الله عليه وسلم قل الله اعد مخلعاً له ديني فلا
 تكبرن عليك الان اذ سالت عن الامر العظيم ان رجعت عليك المسألة بالجواب
 العظيم والوصف الشديد فانك لو علمت ما عنه سالت لاعدت لجوع الجواب
 جلباب الصبر واحتمال اعظم المرونة لجرب الثواب والمعرفة النفس تفسر بكثرة
 لا يمكن المستمع معرفة ذلك الا بالانجاز الا من قدم فراغ القلب له والنظر
 فيه ومراجعة السؤال عنه فاني وجدت تيسر ابن ادم على تيسر التجارب فمن
 اجل ذلك ركب فيه ما ركب فيه من الاداة لدفع شر ما سلط عليه من
 العدو الا ترى انه يقول ان الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدواً فاعقل عن الله
 يا ربك ما حذرنا من عداوتك واعلم ان ارادة ابليس وسلاحه الذي يصل (32)

يا - ربك هو - خير - وهو - هو - رسم ان محبتك للطاعة
 الخاربة لعزرك والمجاهدة بسب وعلمة لحوالك سيما ان كانت نفسك موافقة
 لخواها وكان حواك - بهم ليس التسموم به يصل الي قلبك وهو كلام ان
 فرغناه تشن وتفرع فكثيرا ومعرفة نوع واحد من الاصول التي يستدل بها على
 التفروع انقل على ابليس من معرفة الف مسألة يحقق ذلك قول ابى هريرة لباب
 من العلم اصلح به فساد قبي وفساد قلب من ياتي الي احب الي من صلاة
 حول مجودة وحيايم حول مجود لان فساد الاعمال كلها انما ياتي العبد فيها من
 جهل بفساد قلبه ومصلحة فساد قلبه ولو عرف فساد قلبه من ان اتى لعرف
 صلاحه من ان ياتي اعلم الان ان معرفة علم النفس علم صغير وانه موجود
 وان سمع من يدعي عقله انه بقله فان عقله في الظاهر انه يصدق به في الباطن
 او ان اقرنه في الشاهد انه يقربه في الوحدة كلاً انه اعز من ذلك والذي
 يدل على غيره انه قد صبح مثل قول سفيان انه من عرف نفسه لم يضره (52)
 ما قيل فيه من خير او شر فاعلم علماً غير ذي شك انه اذا لم يضره انه قد
 نفعه فما ظنك الان برجل يبلغ في العلم درجة ينفعه ما يضره غيره ولا اعلم عالماً
 ولا عابداً على وجه الارض ممن نعرفه الان وهو يضره ما قيل فيه من خير او
 شر ان مدح يغير فتنه ذلك المدح فضره وان مدح شرفته فضره المدح وان ذم
 يجرى اخره وفتنه فضره الذم فاما من لا يعرف فلا يقدر علي ان يحصى فيجوز
 في الحكم ذلك ليعلم اني لا اعرف من يعرف نفسه ولا اعرف من يعقل
 كيف ينبغي له ان يعرف نفسه لا ولا اعرف من ان اخترته بقله او بقله
 فمن ذلك ضرراً ما قيل فينا من خير او شر والله المستعان علي انما ضلنا
 وعلى قنة هدايتنا لمعرفته وان وصف معرفة النفس عندي اليوم لحظراً عظيم عند
 من يدعي العقل والمعرفة والعمل قال ابن المبارك :

نترتب الحق حتى وصفه خطر عند الخليم وعند انال المبر

وقد صبح عندي انه من لم يعرف نفسه فهو من دينه علي غرر ومن سيره
 دنياه على التح السير واعلم انه من ضره ما قيل فيه من خير او شر في سر
 او علانية فهو يضره ما عمل من (53) اعمال الخير او الشر وكل هذا لا يوجد الا بمعرفة
 الرجل نفسه وانما لما تدبرت دلائل العلم والاعلم لاقم على معرفة نفسي احببت وصفي

يوصف من أعرف من أهل زمانه أن قد ظهر من أهل زمانه الوحشة والتقاطع والتدابير
والثبات والجلد لأمور الدنيا والغفلة والتسوية لأمور الآخرة فاستوحشت لذلك
وسأطني واني في طول الفكرة فيه حتى غلب علي همه فوجدت دلالات العلم
ونظائر الحكمة ونظن القلوب قد نعوا إلينا أزمته الحيرة وذكر أديار دولته
وحذرنا وأنذرونا هجوم الشر وإقبال دولته واني لأري زماناً قد استدار أهله
ودارت رحاؤه بالشر وغلبة الهوى فرايت الجاهلية من أهل الدين وأهل زمانه
بمن أعرف قد تباغضت وتنافرت فالقلوب منهم قد اختلفت والأهواء فيهم قد
تفرقت وبعضها من بعض قد تبرأت والعلما منه قد فشت وإلى الدنيا قد ركنت
وقراؤها قد تحيرت ولدنياهها قد اثرت وعلى ذهبها ونفتها قد حرصت وعن
آخرتها قد غفلت والقلوب منها قد فشت وشكرت (٢٨٤) وعبادها قد جهلت
فتعظمت وتكبرت والعهد منهم مرحت والأمانة فيهم قد قلت وفقدت
والعقول منهم قد نقصت وأهواؤهم عليهم قد غلبت والاحلام فيهم قد غربت
والمروءات والأدباء منهم قد ذهبت والسكينة والوقار منهم قد قلت والجفا والتسرة
والوحشة بينهم قد ظهرت وبعضهم لبعض على المداينة قد احتلت وذاتك اني وجدت
الدنيا قد سقت أهلها من حبها كلاً صرفاً سرقت له عقولهم وأبدت فيه هواهم
فعادوا إلى هذا الوصف فلا تسألن عما وراءه فلتوس الهوى بموافقة النفس في
إعراض القلوب أنفد سبهاً من دلالات العقول ولاصابة الحق مخالفة في أهداف
النفسين يحقق ذلك قول ابن مسعود أنتم اليوم في زمان الحق فيه قابله الهوى
وسياقي بغدادكم زمان يقود الهوى فيه أعمال الحق وقال ابن عباس رضي الله عنه :

... وما الناس بالناس الذين عندكم وما النار بالنار التي كنت أعرف

وسمع صوت حين قتل عمر رضي الله عنه :

... ليك علي الإسلام من كان باكياً فقد أوشكوا هكناً وليس علي الهدى

... راديرت الدنيا وأدير خيرها وقد ملأ من كان يوقن بالوعد

... (٢٨٥) فاعقل متى قيل هذا فاني وجدت هذه الانفس الامارة بالسوء

حكومات بخور خفية يخفي أكثر ذلك من المرء عن نفسه فضلاً عن أن

يتعرفه منها حتى أن الكلمة مما يرجعها ويوافق هواها ويخالف الحق به

الاستخارجها وإن الغضبة لتظهر حبرها فإن المطمع الكاذب ليسجوا ورعها

ويشعر حينئذ بالدموع والرفس يعرف به همدان كانوا حذرين
او يقصدونه كانوا كاذبين ومن اعمال الجوارح تصحيح خبايا القلوب او
تفسدها فان القلوب مهمسة على الجوارح واعلم انا وافقنا الصالح من الماضين
في اعمال الجوارح وحالفناهم بالغيب والقلوب من الخوف فنشرت عند الاخران الا
بالكف وحزن التكليف لا يثبت او يتصرم ولم يعقل التواضع الا باظهار
السيا في تعبير الثياب وحف الشوارب والحياء في اللباس لتجانبنا في الاسن
الموافقة على المساهمة وتباعنا بالقلوب لاختلاف القلوب وعادى بعضنا بعضا على
المصادقة واللف بعضنا بعضا على المباينة في العشرة فتنافرت القلوب ووقعت فيها
الوحشة (547) فسيانا سيا الكاذبين تبينه فينا الصادقون فاعجبنا مع قبح
الوصف وسماجة هذه الآداب لا نساهل خروجاً عن بعض ولا دخولاً في زيادة
فما تلقى منا الا ذاماً لغيره مذموماً عند غيره مستوحشاً منه غيره غير واثق بغيره
ولا هو موثوق عند غيره الا مع موافقة الهوى على الغش والادعاء لا لمجد
صديقاً فتناسى به ونقدي ولا خائفاً فلزمنا الخوف ولا محزوناً بطم وعقل
فبقينا حيارى نطلب الصدق وما اليه سبيل افتلمم يا عاقل وصف من هذا هذا
وصف عيون اهل زمانك من مقرهم وعلمهم وعبادهم والمدين لا يقول منهم
مشترين في رضاهم متكبرين عند خلاف اهوائهم اهل سعة وغلو وجهالة عند
غضبهم اهل حرص ورغبة ودناءة نفوس عند اطعامهم حبهم بالايدي
ومودتهم مكاشرة عند التلاقي وفي القلوب داء ذفين صفة اخلاق المنافقين
قال صديقه رضى الله عنه كنا نعرف المنافقين على عهد النبي صلى الله عليه وسلم
اذا لقونا بداؤنا بالمصافحة بالايدي والكاشرة (548) فاذا مضينا همزوا لنا ولمرونا
وذلك اني وجدت من اعرف من اهل زمانى متفهمون بالاسن يامزون به بما
وافق ذلك اهواء باطلة فيما خالف اهرانا واحتفون لازهاده في الدنيا بالاسن
عاملون فيها بالحرص والرغبة بالجوارح والقلوب يدفعها عنا في الظاهر بالقول
ويجترها الينا بالايدي والارجل في الباطن فبدلنا الخوف من احوال الاخرة
خوف الفقر قبل قوله وبدلنا مكان الصدق في الاعمال جزيل الثواب من الله
للذين عند خلقه ليعظموه ويقبلوا منا ومحسنو غلبنا الينا فصبرنا مكان الشكر
لله على نعمه وجميل ستره طالب الشكر من المخلوقين فاحببنا تعجيل ثواب اعمالنا

من المخلوقين في الدنيا وترغم إنا نلتبس ثيابا من الله في الآخرة وقد حرم الله ذلك على خلقه فطلبنا الصدق بالذا وبالاختلاق الدنية وبالكذب في القلب فهذه صفة أهل زماننا فأعلمهم مستحذ عليه هواد واعتلهم خزين عذاب نعلم واحلمهم يسه فليأ يحلم عنه العبي وابانهم في منطلقه متأول واعتفاهم (٥٥٥) بالاستماع يرصدك الغوايا وانفداهم رايأ يعنى عن تيوب نفسه واشدهم اجتهدا مفتون معجب وانبتهم عقلا جازر عن محجة الحق متمسك برشا الضلالة واكلمهم بصيرة عاجز عن العمل بصيرته وجامنا ذيب مختلس مستصغر لمن ليس في درجته مستدرج من حيث لا يعلم وعابنا جبار لا يكلمهم فقد احاط بنا الجبل ونحن لا نعلم مهابات ما ابرمك وعظم ما ترى وكل من يرى من النسك بعري الاسلام قال ابن المبارك :

... تغرب الحق حتى ما له علم يؤذي اليه ولا يرجئ له الحق

وقال ايضا : تغرب الحق حتى وصفه خطر عند الحكيم وعند العالم الخبير

فاذا كنت في زمان وصف الحق فيه خطر عند من يدعي العلم فما ظنك بعرفته والعلم به فانت في بحر تضطرب عليك امواجه فسايجهم كم يثبت حتى يعرف ومن لا سباحة له فهو راسب فاليرم طالب التسك وهيات وكيف له باتمني فيه والتسويف وان كان يأتيه من غير وجهة وكيف له ان كان عالما بصيرا عاجزا صابرا (٥٥٦) زكيا فطنا ان يقوم على فطام ستين سنة او خمسين سنة قد احاط بسويداء قلبه فاشتد عليه عظمه ونبت عليه لحم وشاب فيه اصدائه وقرح فيه نابيه ثم هم بالهوانا وقلة المعرفة وانصبر يريد الان فان كانت يريده فليحصر عن ذراعيه وليشمر عن ساقيه وليالج بابيه وليعش على خيار الضير وليجد في الطالب ان كان راغبا في الجنة وهاربا من النار ومحبا لله تعالى وليتأهب وليتذرع فان مباشرة الف بتدريج يصحرون له ليسر من واحد قد كن له لا يدري من اي وجه يهجم عليه واعلم ان هذا كتاب لا يعقله عاقله الا عقل عباده ولا يقبله من سمعه الا قبول تعجب واقاراده بلسانه انه الحق ومن يريد ويجمله اكثر فاما من يريد للعمل فلا اعرفه وانما رايته علما مهجورا لا لا يقبل ومن قبله لا يعقله ومن قبله وعقله نقايته المباشرة به فلقد هممت بتركه لانه ليس من علم زمانك ولا حاجة لهم به لانه علم يورد باهله الي محالة هوي

بهم وبجاهديها واحسن من نعم الله .. دعائهم يوم من العلم والعبادة
هو انفسهم ونال الله غفره وعافيه واسعونه منه تفضيلاً ورحمةً بنا وقال
لو ان اهل الثغر غزو كلهم وقاموا حذوفاً ها هنا يريدون خراب هذا الدين
لرايت الحزن ها هنا لصلاح النفس اوجب على الرجل من الحرب في فسادها
يريدون ثم قال ارايت لو كان ابو بكر الصديق رضي الله عنه اميراً والناس
كلهم مثل عمر رضي الله عنه وانت علي غير ما ينبغي ما فعل صلاح بفسادك
الم تكن على عهد النبي صلى الله عليه وسلم والي بكر وعمر رضي الله عنهما
وزمانهم قوم لم تنفعهم بركة النبي صلى الله عليه وسلم ولا صلاح الي بكر
وعمر وزمانهم ثم قال اذا لم ينفعهم صلاح اوليك فما ينفعك اليوم صلاح غيرك
ثم قال عند انك قت وجهدت علي ان اقت الناس على حذر كما ينبغي احذهم
الصغير والكبير ولم يهتم لنفسك فـ تفنك اقامتهم علي الحذر او ليس العجب
تركتمهم نفسك وهي اغر الانفس عليك واقبلت علي هم غيرك او ليس هذا
العجب وقال انظر (٥٦٦) زمان النبي صلى الله عليه وسلم اموالهم ونفقاتهم وتوهم
وارح النفقة في ذلك الزمان (ربما اسقط النسخ بعض الكلمات في هذه الجملة)
كان يرفع صاحبه الي السماء حياً في المل لانه كان اموالهم واخبارهم ونفقاتهم
ظاهرة وكان في ذلك الزمان التقدير خيراً من الغني فكيف ترى اليوم حيث
فدت الاموال والانفس والزمان والنية ثم قال لا اعلم اليوم شياً خيراً من
الفقر حتى لا يبلغ شي من اعمال السيرة الثلاثة مثل الحج والغزو وغير ذلك . ثم
قال ارايت لو ان رجلاً قام ها هنا من خيار هذه الامة وآخر من شرار هذه
الامة فطاول هذا اخير علي هذا الرجل السوء فما ينفيه خيره وعبادته ولو كان
قد عبد الله مائة سنة فاذا لم تستقم للخير ان يتطاول علي الرجل السوء فكيف
ترى حال من يتطاول علي من هو خير منه اخره وقد بلغنا ان ثلثة اشيا
تقني القلب كثرة الكلام في غير ذات الله تعالى والذنوب اذا حمل بعضها علي
بعض ومل البطن من الطعام وقال احفظ لسانك ولا تقولن الا حقا واتكثرت
(٥٦٧) فانك اذا فعلت ذلك ادخلك في اصناف الخير والحمد لله وحده وصلى الله
على سيدنا محمد واله اجمعين وهو حسبي ونعم الوكيل . بلغ مقابلة بمحمد الله .

المقدمة

هذه هي المخطوطة القيمة التي نغزينا الى المحاسبي وقد نفني بوعدها فتقدم للتاري اذائية نصوص هذا الصوفي المعروفة التي نشرت من كتاب الرعاية ومخطوطنا سندل بذلك على صحة قولنا . واننا نلجأ الى هذه الطريقة من مقابلة النصوص لاننا لم نجد ، غير التاريخ ، من يذكر هذا التأليف ولا من يزيه الى المحاسبي ، كما قدمنا . لن ينوب عن مطالع كتاب الرعاية ومخطوطنا أن ما بين المؤلفين من الشبه ، إن في الافكار . او في انتقاء المفردات للتعبير عنها وإن في تركيب الجمل او في عناوين الفصول نفسها ، لحجة كافية وبرهان قاطع على صحة ما تقدم . فلا يستطيع المنتيب الا الرضخ امام هذا التقارب والشبه ولسان حاله يردد : المؤلف واحد . وسوف نرى في الاذائية التي سنبرها ان الاغلاط النحوية هي هي في المؤلفين ، مما يدل ايضاً على قدم المخطوطتين ، على ثقافة الناصح النشيلة او على سيرهم في الأصل . ولكن ما يوقفنا في هذا الضدد هو ترديد بعض الافكار الاساسية التي شاد عليها المحاسبي البناء الروحي . فلا تقرب من الله ولا وصول اليه الا بقطع الرياء والحذر منه ، الا بقطع العجب بالرأي والقيام باعمال الطاعة . واننا لا نجد عنده تحليلاً دقيقاً للوصال . فقد ترك لمن سبيله من الصوفيين ، ابن الفارض وغيره ، ان يقوموا بتلك المهمة . احب المحاسبي أن يوطد اساس الحياة الروحية ، وعلى هذا الاساس يستطيع غيره تجنيل البناء . وتوسيعه .

او نقول اذا ان مخطوطنا ليس الا ملخص كتاب الرعاية خطته يد تلميذ معجب بافكار معلمه . ولم لا نقول ان المحاسبي نفسه احب ان يلخص لتلاميذه في مؤلف محدود الارجاء فكرته في الحياة الروحية ويزيد عليه ما رأى من الحيز زيادته . فان تكلم مرتين في كتاب الرعاية عن الصدق وقلب الصادق فهو يُعيد الكرة هنا ويتوسع بالفكرة الى حد تزي من خلاله ان مخطوطنا ليس ذلك الملخص وانكنه مؤلف جديد لم يكن معروفاً الى اليوم .

ليس للمؤلف ان يُبدع في كل كتاب تحطه يده افكاراً جديدة فاذا اودع الواحد منها عبارة دماغه والكثير من حده والنقط الاساسية لبناء هيكل تفكيره ، فلا بأس اذا توسع في كتبه التالية بنقطة من تلك النقاط ذات فائدة وموضحة بعض المبادئ . فهكذا صنع المحاسبي ونجح .

وإذا لحنا الى التقارب الكبير بين كتاب الرعاية ومخطوطنا فلا نستطيع القول
نفسه عن كتاب التوهم . فلم يكن في نية المحاسبي في كتابه هذا الاخير ان يعرض افكاراً
روحية بل احب ان يصف فيه ما يعثري الانسان من الرهبة والوجل في يوم الحشر
والنشر والحياة الباقية مع ما هنالك من صور خيالية استسلم اليها المفكرون . فلا
غرو اذا ان تكون نصوص المؤلفين بعيدة عن بعضها في مفرداتها وافكارها .

لقد توصل المحاسبي في تحليله الطرق التي على المريد ان يسلكها إلى أن
يُصور له ، بدقة وصف وتمييز صافٍ بين التشبّات العديدة التي يُخاف ان يتشبّتها
وتُقصيه عن الكمال ، تلك الخطوة الاولى الضرورية والاجتهاد في السمي وراها .
ولئن راح المريد يسير نحو الله بضيق صادق فعليه ان يعلم أن كل درجة وكل
متزلة من درجات العابدین تتطلب منه زهداً وتخلياً كاملاً عن الدنيا وزيادة في
التقوى اي في الحُرْف والرجاء . اذ لا يتوصل المريد الى الله الا عن طريق
الاستدراج اذ يرافقه الصبوت ومخالفة الهوى . ولكن العقبة التي توقف المريد في
طريقه نحو الكمال هي الرياء . وخبّ التزلف والمظنة فلذلك اخذ المحاسبي على عاتقه
أن يصور الرياء والمرامي في صورة تولّد الاشتزاز في نفس المريد وحب التخلص منه .
ولكن ماذا ينفع المريد إن تخلص من الدنيا وزهد في ملذاتها ، اذا لم
يعرف الطريق للوصول الى هدفه وغايته ؟ فبعد ان يكون المحاسبي توقف ملياً
عند السليات يأخذ في تصوير الايجابيات - وهذا هو الجديد في هذا المخطوط -
في تصوير الصدق وصفاء النية وقوة الثقة والرجاء بالله وكيف تقوّي هذه الفضائل
المريد على التخلص من المعاصي والسليات وتقوده الى القيام بما يقربه من الله ،
الى عمل الحسنات وما يتشعب منها .

هناك صفحات في المخطوط عاينا ان ننسخها هنا بكاملها ، اذ لا نقوى
على اختصارها ، فكل فقرة وكل جملة اصلية في تطوّر المعنى وفي التعبير الرواني
عن الفكرة الاساسية . وهذا ما حدا بنا الى الوقوف عند هذا الحد من
التحليل طالبن الى القارئ ان يتأمل فكرة المؤلف دون وسيط .

واليك بعض تلك النصوص المحكي عنها . وقد يطاول ذكرها اذا احبنا

والغا جعل الجزاء من العقاب والثواب	راجع ما بعد
للرهبة والرغبة من الله تعالى ، ص ٢٢	
فاخبر انهم لما رغبوا ورهبوا ، ص ٢٢	راجع ما بعد
فاذا عمل قلبه بالفكر بالتخويف لما	فلا تلفاه وان كان نال منها الا مستثمرا
خوفه ربه جلّ وعزّ لم يبيح منه الخوف	خوفاً زائلاً منها ١9٢
سريماً لطول غفلته ، ص ٢٠	
ولا يبيح الخوف ، ص ٢٠	يمنع الخوإس عن الاخبار التي فيها تخيـج
	الغلوب 2٧
وناجاه بقلب راغب راجب ، ص ٢٤	وقف على ذلالتها من الترغيب
	والترهيب 4٧
جهالة ، ص ٢٤	وما اكثرت حاجتك الى جهالة الناس
	بك 28٢
	اعل سقه وغاؤه وجهالة 54٢
التواكل ، الفريضة ، المكر ، الطاعة ،	هذه المفردات غيرها في كل صفحة من
الرياء ، قصر الامل ، اهل الشاؤون والمداوة ،	صفحات المخطوطتين .
الجوارح ، قبول المطرة ، النية ، مراتب	
المباد ، الخوف ، الرجاء ، الترتين . . .	

❦

واذا توهمنا الى بعض الاغلاط النحوية فاننا نغريها ، كما قدّمنا ، الى السوء .
وهناك بعض الامثال : فكل ما مضى منهم يوم . . . او ليلة (١٧) ، وفكرهم
مدبرة (2٢) ، وليس فيها نوبة (34٧) الخ . . .
وهناك عادة للناسخ ، يكتب الافعال في المخاطب الجمع بدون الف اخيرة :
فطنو ، وجدو ، ولايسر . . . ومرات يزيدنها : اوتوا (8٧) ومرات يضعها في
المخاطب المفرد : يذكروا (2٢) ، يخلوا (3٢) ، يرجوا (18٧) .
ومن طالع المخطوط وقف على بعض هذه الهنات بسهولة . فكفى .

❦

هذا ما لنا ان نقوله في كتاب الحلوة الحاسبي ولعلنا وفينا بوعدنا تاركين
للقارئ ان يستنتج ما له ان يستنتجه وآمين ان نكون ساعدنا ولو قليلاً على
معرفة الحاسبي والدخول في نفسانية ذلك الانساني الكبير .